الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمّه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المفارقة واللامعقول في الثقافة الشعبية

–الطقوس السحرية، الطقوس الدينية، كلام الدراويش والمجانيين–

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصّص: أدب شعبي

من إعداد الطالبين:
✍ فتحا الله بالخير
✍ نسيبة مخدمي

إشراف:
أ.د أحمد زغب

لجنـــة المنـــاقشـــة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
د. يوسف بديدة	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي
أ.د أحمد زغب	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي
فوزية تقار	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي

الموسم الجامعي: 1440/1439هـ – 2019/2018م

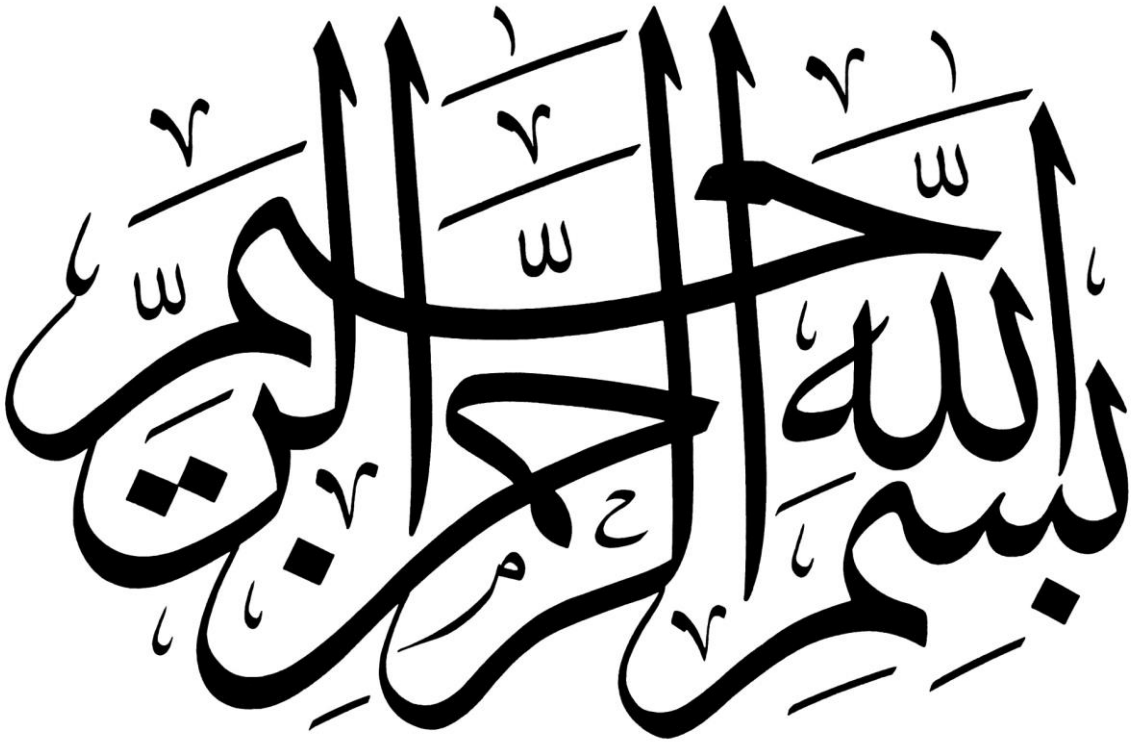
بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ
وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

العنكبوت: 43

شكر وعرفان

أولا و قبل كل شيء نحمد اللّه عزّ و جل و نشكره على منّه و عونه لإتمام هذا البحث.

كما نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور أحمد زغب على ما أولانا به من توجيه و نصح،و ما بذله من وقته و صبره و جهده،فله منا جزيل الشكر و عظيم الامتنان.

كما نتقدم بجميل الشكر إلى كل من أمدنا بالدعم المادي و المعنوي

و لا ننسى الموردين و الموردات الذين فتحوا لنا قلوبهم حفاوة و ترحيبا.

و أخيرا نسدي عبارات الشكر و العرفان إلى كل أساتذة تخصص

"الأدب الشعبي" خاصة أولئك الذين أفادونا بأفكارهم النيّرة،

و كانوا سببا في تحفيزنا على المضي قدما و نخص بالذكر منهم

الدكتور "كمال بن عمر"

نسيبة

فتحا اللّه

مقدمة

مقدمة:

لا يمكن تناول مجتمع تناولا معرفيا دون الحديث عن ثقافته، لأنها جوهره، والسبيل إلى فهمه فهما عميقا، وهو تحديدا ما نحاول القيام به في هذا البحث كمحاولة منا لفهم ثقافتنا الشعبية من خلال الوقوف على بعض مظاهرها التي أصبحت مهمشة، ولا يكترث لدراستها أحد، ونقصد بهذه الظواهر تحديدا ظواهر اللامعقول التي يضرب المخيال الجمعي بسهم وافر فيها، بالإضافة إلى كثير من رواسب، وطقوسيات الثقافات الغابرة التي تركت آثارها واضحة في جسد الثقافة المهيمنة لذلك رأينا تصنيف مظاهر اللامعقول إلى ثلاثة أصناف هي:

- الطقوس السحرية، فالسحر يعتبر أحد تجسدات الثقافة الشعبية التي ظلت لصيقة بالإنسان منذ بداية النشأة، رغم غموض العديد من جوانبه، وتضارب الآراء بشأنه بين مؤيد، ومعارض، وبين ممارس وممارس عليه. وقد استخدم السحر لعلاج الأمراض المختلفة، ولمواجهة المشاكل الاجتماعية، والنفسية، وحتى لإيذاء الآخرين، ويظهر السحر من خلال ممارسات الأفراد وسلوكاتهم.

- الطقوس الدينية الشعبية، والمتمثلة أساسا في الوعدة أو الحضرة الشعبية، وما يتعلق بها من حضور للأولياء الصالحين وكراماتهم. وتعد الحضرة الشعبية مصدرا من مصادر الثقافة الشعبية عندنا، ولها دلالات متعددة منها ما هو ديني، واجتماعي، وثقافي فهي سلوك مرتبط بالتراث الشعبي، ويترجم هذا السلوك بعض الحاجات الفردية، والاجتماعية.

- أقوال الدراويش والمجانين التي تتردد في الوعي الجمعي، فالبرغم من انتماء المجنون والدرويش إلى الفئات المهمشة اجتماعيا، إلا أن أقوالهما تتردد كثيرا في الأوساط الاجتماعية.

وما تمثله هذه المظاهر، أو الجوانب من ثقافتنا الشعبية من ركام معرفي، وثقافي يعكس عمق المجتمع، وبقاؤها خفية، ومهملة وقلة الدراسات والبحوث فيها، رغم ما لها من دلالة، ومضمون يعبران عن العقل الباطني للمجتمع كانت من أبرز الدوافع التي جعلتنا نتحمس لفكرة هذا الموضوع المرسوم ب: "المفارقة واللامعقول في الثقافة الشعبية"، (الطقوس السحرية، الطقوس الدينية، كلام الدراويش والمجانين).

وتتمثل أهمية في هذه الدراسة محاولة الكشف عن عمق المجتمع، وإبراز طغيان النزعة اللاعقلية في ثقافتنا الشعبية، خاصة وأن العالم المعاصر بات يعتمد على المعقول بشكل كبير، بحيث تراجعت الانفعالات، وتراجع الخيال، والاعتقاد في أساطير الأولياء وكراماتهم، وبقيت في الظل انطلاقا من أن بنية الوعي هي بنية عقلية، فالعقل يدرك الموجودات ولا يقبل ما يناقضه، بينما الانسان ليس عقلا كله فممارسات الناس لا تخلو من ملكات أخرى كالحدس والخيال، والعاطفة.

وقد طرحنا في هذا البحث إشكالية مركزية هي: هل دراسة المفارقة واللامعقول في الثقافة الشعبية تعطينا فكرة أعمق عن المجتمع؟

وتندرج تحت هذه الاشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- أين تظهر المفارقة واللامعقول في الطقوس الدينية الشعبية؟
- عم تكشف كل من المفارقة واللامعقول في الطقوس السحرية والطقوس الدينية الشعبية؟
- فيم تتجلى كل من المفارقة واللامعقول في كلام الدراويش والمجانين؟
- عم تكشف المفارقة في كلام المجانين والدراويش؟

وقد أملت علينا طبيعة البحث انتهاج خطة قسمت الى مقدمة، مدخل، وثلاثة فصول، وخاتمة ففي المدخل قمنا بتحديد أهم مصطلحات البحث: المفارقة، اللامعقول، والثقافة الشعبية، وكان ذلك من الضرورات التي أملتها منهجية هذا البحث.

وفي الفصل الأول الذي يحمل عنوان "المفارقة واللامعقول في السحر" تطرقنا إلى مفهوم السحر ومكوناته ثم إلى أنواع السحر وعلاقته بالدين، ثم قمنا بتحليل بعض الطقوس السحرية ووقفنا على المفارقة واللامعقول فيها.

أما الفصل الثاني والذي يحمل عنوان "المفارقة واللامعقول في الطقوس الدينية" فقد تطرقنا إلى مفهوم الدين ومكوناته ثم إلى أنواع الطقوس الدينية والتي تنقسم إلى طقوس الدين الرسمي وطقوس دينية شعبية.

وأخيرا قمنا بتحليل نماذج من الطقوس الدينية الشعبية التي جمعناها من الميدان، ووقفنا على المفارقة واللامعقول فيها.

وكان من المنطق أن نخصص الفصل الثالث لدراسة "المفارقة واللامعقول في كلام الدراويش والمجانين" حيث انطلقنا من تعريف الجنون ثم ذكرنا أهم ما ذكر عن كلام المجانين في التراث العربي، كما بينا في هذا الفصل مفهوم الدروشة، ومفهوم الدرويش في الثقافة الشعبية المغربية، والثقافة الشعبية المشرقية وكذلك قمنا بتحليل بعض الأقوال المأثورة عن المجانين والدراويش، ووقفنا على المفارقة واللامعقول فيها.

أما الخاتمة فحاولنا أن تكون خلاصة لأهم نتائج البحث.

واقتضت طبيعة البحث القيام بالعمل الميداني الذي اعتمدنا خلاله المقابلة الفردية والجماعية، وحاولنا قدر الإمكان جمع المادة من مصادر متنوعة، أما من الناحية الجغرافية فقد اقتصرنا على المناطق القريبة من وادي ريغ، ووادي سوف.

وأملت طبيعة البحث اعتماد المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الظاهرة بكل عناصرها وحيثياتها، وكذلك المنهج السياقي الذي استخدمناه في تحليل المادة المجموعة من أجل الوقوف على المفارقة واللامعقول فيها.

وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع فكانت كثيرة، ومتنوعة لعل أهمها:

- الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر): البيان والتبيين.
- ابن خلدون: المقدمة.
- جيمس فريزر: الغصن الذهبي.
- فراس السواح: دين الإنسان.
- سامية الساعاتي: السحر والمجتمع.
- خزعل الماجدي: علم الأديان.
- مصطفى واعراب: المعتقدات السحرية وطقوسها في المغرب.

وإن كنا نطمح من خلال هذا البحث أن يكون واحدا من البحوث التي تتطرق إلى هذا الميدان، فقد سبقت إليه بعض الدراسات، ومنها دراسة "مصطفى واعراب" في جمع أهم المعتقدات والطقوس السحرية بالمغرب تحت عنوان "المعتقدات والطقوس السحرية بالمغرب" وكذلك دراسة الباحث "بو وشمة الهادي" وهي رسالة أكاديمية لنيل شهادة الماجستير تحت عنوان "وعدة أولاد أنهار بمنطقة تلمسان"، وأيضا دراسة الباحث "أحمد بن علي آل مريع" في النقد بعنوان "خطاب الجنون في التراث العربي" وهي أطروحة دكتوراة.

وحاولنا نحن من خلال هذا البحث تخصيص موضوع المفارقة واللامعقول في السحر، والطقوس الدينية الشعبية وكلام المجانين والدراويش، وهو موضوع لم تسبق دراسته.

ولا شك أن طموحنا في إنجاز هذا البحث لم يسلم من الصعوبات في جميع مراحله، ومن أبرزها:

- صعوبة الإلمام بكل جوانب البحث.
- قلة المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع بشكل مستقل.
- صعوبة تحديد المفارقة واللامعقول في النماذج المدروسة.

وأخيرا نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان إلى الأستاذ الكريم الدكتور: أحمد زغب الذي شرفنا بقبوله تأطير هذا البحث، ورعايته بالدعم والتوجيه إلى أن ذللت الصعوبات، ووصل البحث إلى مرحلته الأخيرة، كما نتقدم بجزيل الشكر إلى الرواة الذين أمدونا بما احتفظت به ذاكرتهم من أقوال، ومعتقدات وطقوس حاولنا توثيقها حتى لا ينالها الاندثار.

المدخل

تحديد المصطلحات

أولا: الثقافة الشعبية

1- مفهوم الثقافة

2- مفهوم الشعبية

ثانيا: المفارقة

1- مفهوم المفارقة

2- أنواع المفارقة

3- وظيفة المفارقة

ثالثا: اللامعقول

1- مفهوم المعقول

2- مفهوم اللامعقول

3- تجليات اللامعقول

أولا: الثقافة الشعبية

مصطلح الثقافة الشعبية مصطلح مركب من لفظتين اثنتين: الثقافة – الشعبية.

ولا تعد مقاربة هذين المفهومين سهلة، فلقد تشكل مفهوم كل منهما، وترابطا في جو جدلي صاخب من حيث الرؤى المعرفية والمنهجية.

1- مفهوم الثقافة:

تعتبر الثقافة سمة إنسانية خالصة ينفرد بها الإنسان دون سائر المخلوقات فهو يستطيع أن يصنع الثقافة، ويحافظ عليها بطرق مختلفة. والثقافة لفظ عربي جاء باشتقاقات مختلفة: التثقيف والمثقف والثقف والثقافة...إلخ ويشير إلى ذلك ابن منظور بالقول: «ثقف: الشيء ثقفًا وثقافًا، وثقوفةً: حذقه. ورجل ثقف وثقف: حاذق فهم. ويقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم. والثقاف والثقافة: العمل بالسيف، والثقاف ما تسوى به الرماح»،[1] ويقول ابن فارس في معجمه: «الثاء والقاف والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع، وهو إقامة درء الشيء. يقال ثقفت القناة إذا أقمت عوجها.

ورجل ثقف لقف، وذلك أن يصيب علم ما يسمعه على استواء».[2]

وخلاصة الدلالة اللغوية للفظ الثقافة أنه يتركز في معنيين الأول هو: التفوق الفكري عند الانسان فطريًا أو مكتسبًا والثاني: تقويم الأشياء وتعديلها.

أما عند الدارسين العرب المحدثين فقد شاع هذا اللفظ- الثقافة- وكثرت تعريفاته، ولكنها كانت تعريفات تابعة للفكر الغربي.[3]

---

[1]- ابن منظور جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، مادة ثقف، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003، مج9، ص 22-23.

[2]- ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ط، 1399هـ/1979م، ج1، ص 382-383.

[3]- ينظر: عبد الرحمان بن زيد الزنيدي، المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية، دار كنوز إشبيليا، المملكة العربية السعودية، ط1، 1430هـ/2009م، ص 13.

ومن أبرز التعريفات الغربية للثقافة، وأكثرها شمولاً وتداولاً تعريف الأنثروبولوجي الشهير «إدوارد تايلور Edward tylor في كتابه « الثقافة البدائية » Primitive culture.

حيث يقول في تعريف الثقافة: «هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات، والفن، والأخلاق، والقانون، والعادات وأي قدرات أخرى أو عادات يكتسبها الانسان بصفتة عضوًا في المجتمع».[1]

وأهم ما يميز هذا التعريف هو كونه يبرز العناصر اللامادية لحياة الإنسان في المجتمع، كالأخلاق والفنون والقانون والمعرفة التي يكتسبها الإنسان إلى جانب العناصر المادية كالفنون العملية التي ابتكرها ليستخدمها في حياته اليومية.

2- مفهوم الشعبية:

أما مفهوم الشعبية فهو أيضًا يشكو من غموض دلالي نظرًا لأن مصطلح «الشعب» يعاني من عدم تحديد الفئة المعنية به. ولما تعددت تعريفات كلمة "الشعب" كان جديرًا بنا بأن نقف على إحداها. فمصطلح الشعب يدل على «جماعة اجتماعية معينة يرتبط أفرادها بتراث مشترك وشعور خاص بالتعاطف قائم على خلفية تاريخية مشتركة».[2] وعليه فإن «الثقافة الشعبية» بهذا المفهوم الذي طرحناه تعني «الثقافة التي تميز الشعب والمجتمع الشعبي، وتتصف بامتثالها للتراث والأشكال التنظيمية الأساسية [...] ومن البديهي أن الشعب هو حامل هذه الثقافة».[3] ويقول أريكسون عن الثقافة الشعبية إنها «نمت نموًا أصيلاً، وليست معتمدة اعتمادًا مباشرًا أو منسوخة عن اتجاه مركزي، أو إيحاء مركزي من جانب بعض الدوائر القيادية الأرفع منها».[4] ويتضح من خلال هذين التعريفين أن الثقافة الشعبية

---

[1]- ايكه هو لكترانس، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلوكور، تر: محمد الجوهري وحسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط2، د.ت، ص 144.

[2]- المرجع نفسه، ص 235.

[3]- المرجع نفسه، ص 158-159.

[4]- المرجع نفسه، ص 160.

هي الثقافة المنتسبة إلى عموم الشعب في مقابل الثقافة الرسمية أو النخبوية التي تمارسها النخبة المتعلمة، وتمنحها المؤسسات التنفيذية سلطة «الثقافة الرسمية» أو «الثقافة العالمة».

ويقودنا هذا إلى الاختلافات الثقافية في كل مجتمع، والتي تكون غالبًا منقسمة إلى قسمين رئيسيين هما ثقافة رسمية وثقافة شعبية. فإذا كانت الثقافة الرسمية هي ثقافة النخبة المتعلمة، وتمنحها المؤسسات التنفيذية سلطة «الثقافة الرسمية» أو «الثقافة العالمة» فإن الثقافة الشعبية هي ثقافة عامة الناس وهي: «مجموع الفكر الشائع داخل الأوساط الشعبية، ويشمل طرق الإدراك الخاصة بالمجتمع الذي نتجت في إطاره باعتباره جزءًا من الانتاج الذهني الشعبي في فترة معينة، ونتج عن هذه الثقافة الشعبية الطقوس والأعراف وفنون القول وأشكال العمران، وغيرها فالثقافة الشعبية ليست جامدة، وإنما هي قوة خلاقة للعمل، والإنتاج الجماعي».[1]

وبما أن الثقافة الشعبية ليست جامدة فإنها تقبل الاضافات الجديدة، والتغيرات الطارئة على التراث، والنابعة من الجماعة الشعبية في الزمن الحاضر زيادة على الزمن الماضي. وهذا التغير يضمن لها التكيف مع راهن المجتمع، وبالتالي لا تنفصل عن الحياة اليومية للفرد. ولا يقف التمايز، والاختلاف عند حدود الثقافة فيقسمها إلى «ثقافة رسمية» و«ثقافة شعبية» بل يمتد إلى الثقافة الشعبية ويقسم مكوناتها وعناصرها. التي سبق الإشارة إليها في تعريف الثقافة الشعبية إلى عناصر مادية وأخرى لامادية، أو ملموسة وأخرى معنوية.

ومع أن التقسيم السائد بين الباحثين لعناصر الثقافة الشعبية هو تقسيمها إلى مادية وأخرى لامادية، إلا أننا اخترنا في بحثنا هذا تقسيمًا آخر، وهو تقسيم عناصر الثقافة الشعبية ومكوناتها إلى مجالين: مجال المعقول ومجال اللامعقول وهو تقسيم اعتمده الدكتور زكي نجيب محمود حيث يقول: « وطريق العقل في ثقافة عريضة طويلة كالثقافة العربية لا يكون

[1]– محمد فخر الدين، الوليمة والفرجة في الثقافة الشعبية، مجلة الموروث الشعبي الالكترونية، مملكة البحرين، ع7، 25 ديسمبر 2015، (د.ص)

قائمًا وحده، بحيث لا يجد السائر سواه، بل لابد أن يخالطه كل ما يخالط الطبيعة البشرية من جوانب أخرى غير جانب العقل».[1]

وقد يبدو تقسيم عناصر الثقافة الشعبية إلى معقولة، وأخرى لا معقولة هو من قبيل الجمع بين الشيء ونقيضه، إلا أن وجود تفكير معين لا يعني بالضرورة نفي التفكير الآخر الذي سبقه فالإنسان قد مرَ بمراحل متعددة من حيث ارتقائه في مجتمعه وعالمه فمرة كان يقترب من المعقول، ومرة كان يظل حبيس اللامعقول.[2] إذ لا نستطيع أن نقيس كل عناصر الثقافة الشعبية، والتي نعيشها ونلاحظها يوميا بمقياس المنطق، ولا أن نقدم لها تفسيرًا علميًا واضحًا فإذا كانت القوانين الوضعية، والأعراف، وجوانب من الدين والعادات مبنية على العقل والمنطق، فإن ظواهر أخرى مثل السحر، والتنجيم والأساطير ومكاشفة الصوفيين، وبعض ما يتنبؤ به الدراويش، كلها ظواهر لا يمكن قياسها بقوانين العقل والمنطق كما لا يمكن اثباتها علميًا رغم أنها موجودة بالفعل في الحياة، وإن لم تكن موجودة لما صدرت قوانين أروبية قديمة تنص على إعدام من يمارس السحر الأسود[3]، وما تردد العديد من البشر يوميا على وجه البسيطة للعرافين للتنبؤ بالمستقبل، أو لفك السحر، أو للتخلص من العين والحسد، إلا لكون هؤلاء يرون أنها تقدم لهم حلولاً رغم أنها ممارسات غير مبنية على أساس منطقي.

وهذا التنوع الذي تتميز به الثقافة الشعبية جعلها أيضًا تنطوي على مفارقات كثيرة، إذ لا تخلو الحياة الاجتماعية من مفارقات تحدثها سلوكات الأفراد وممارساتهم اليومية.

---

[1]– زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، دار الشروق، د.ط، د.ت، ص 16.

[2]– ينظر: سيد أمين، عن المعقول واللامعقول، www. Wata.cc، لوحظ في 2010/04/21.

[3]– ينظر: أوين ديفيز، السحر (مقدمة قصيرة جدًا)، تر: رحاب صلاح الدين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط1، 2014، ص 48.

ثانيا: المفارقة:

تتجلى المفارقة في مظاهر عديدة ترتبط بالوجود والإنسان والمجتمع، فالحياة جملة من التناقضات، والمتضادات.

1- مفهوم المفارقة:

2-1- لغة: تعود جذور كلمة المفارقة في اللغة إلى (فرق) وهي تعني حسب ابن منظور: الفرق خلاف الجمع، فرقه يفرقه فرقًا وفرقه وقيل: فرق للصلاح فرقًا، وفرق للإفساد تفريقًا. والفرق: الفلق من الشيء إذا انفلق منه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1]. إلى غير ذلك من المعاني التي أوردها ابن منظور.[2]

فالمفارقة من حيث أصولها وبناؤها هي مفاعلة من (فرق) التي تعني التباعد، والفصل بين الشيئين.

2-2- اصطلاحًا: يعد مصطلح المفارقة - في حقيقة الأمر- مصطلحا غربيًا لم تعرفه الدراسات العربية إلا من وقت قريب عبر الترجمة، على الرغم من أن العرب قد تنبهوا إلى بعض جزئيات المفارقة اللفظية كالمقابلة، والطباق والتهكم، والسخرية والمدح بما يشبه الذم...إلخ.3

وفي وضع مصطلح مقابل للمفارقة نجد أن هناك صراعًا في الترجمة متبادل بين ألفاظ ثلاثة في الانجليزية هي Sarcasm-paradox -Irony.[4]

وقد اختار عبد الواحد لؤلؤة في تجربته لفظ المفارقة في العربية مقابلاً للفظ Irony في الانجليزية قائلاً: «المفارقة Irony أفضل الحلول السيئة لترجمة هذه الكلمة إلى اللغة العربية».[5]

---

[1]- سورة الشعرآء، آية 63.

[2]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (فرق)، مج1، ص 360-361.

[3]- ينظر: أحمد زغب، ديوان أحمد بن عطا الله، دراسة- مديرية الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2012، ص 06.

[4]- ينظر: سعيد شوقي، بناء المفارقة في المسرحية الشعرية، إبتراك لطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001، ص 31.

[5]- د-سي-ميويك، موسوعة المصطلح النقدي المفارقة، المفارقة وصفاتها الترميز الرعوية، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، مج4، ط1، 1993م، ص 144.

في حين وضع مصطلح النقيضة مقابلاً لمصطلح Paradox.[1]

ولا يطرح مصطلح المفارقة إشكالية ترجمته فحسب بل يطرح أيضًا إشكالية تعريفه، ويصرح دي- سي- ميويك (D-C-Mueck) بأن الحصول على تعريف بسيط للمفارقة شيء صعب لأنها ليست بالظاهرة البسيطة.[2]

وهو أي: ميويك يعرفها على أنها "قول شيء بطريقة تستثير لا تفسيرًا واحدًا بل سلسلة لا تنتهي من التفسيرات المغايرة".[3]

ويقول «كيركيكارد»* «ليس من فلسفة حقيقية ممكنة دون شك، كما يدعي الفلاسفة، كذلك قد يدعي المرء أن ليس من حياة بشرية أصلية ممكنة من دون مفارقة».[4]

في حين حاولت نبيلة إبراهيم الإمساك بالخيط الأول للمفارقة عندما أرجعت بداية وعي الإنسان بالمفارقة إلى بدء قصة الخلق، قصة آدام وحواء إذ تولدت لديهما المفارقة الأولى، مفارقة الخلط بين القبح، والجمال التي كانت وراء هبوطهما من الجنة، والمفارقة الثانية حينما اكتشفا أن الشيطان الذي بدا لهما في لحظة من الزمن غير مرادف للشر إنما هو شر مطلق، وهي مفارقة بين الخير والشر في الشيء الواحد[5]. وتعتبر "أمينة رشيد" المفارقة «نظرة إلى العالم، وموقف من حقيقة الأشياء»[6].

وتتبدى المفارقة في مظاهر شتى تتصل بالوجود، والمجتمع والفرد، وتتمثل في أوجه التناقض، والتضارب والتنافر، والتعارض والاختلاف، والتعاكس، والتغاير، والتباين والتجاوز

---

[1]- د-سي-ميويك، المرجع السابق، ص 144.

[2]- المرجع نفسه، ص 19.

[3]- المرجع نفسه، ص 161.

* كيركيكارد سورين أوبي (Kierkegaatd Soten Aabye)، 1813- 1855 فيلسوف ومفكر ديني دانماركي يعتبر مؤسس الفلسفة الوجودية (منير البعلبي، معجم المورد دار العلم للملاين)، لبنان، ط1، 1992م، ص 379.

[4]- د- سي- ميويك، مرجع سابق، ص 126.

[5]- ينظر: نبيلة إبراهيم، المفارقة، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ع 3-4، 1987، ص 131.

[6]- أمينة رشيد، المفارقة الروائية والزمن التاريخي، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، مج 11، ع4، 1983م، ص143.

والتقابل بين طرفين: بين ما هو ظاهر، وما هو باطن أو بين ما يحدث، وما يجب أن يحدث، أو بين ما هو حق وما هو زائف، أو بين الجد والهزل كما تتبدى المفارقة بين المنطق واللامنطق، والمعقول واللامعقول[1].

2- أنواع المفارقة:

إلى جانب مراوغة وصعوبة وضع مفهوم محدد للمفارقة، ظهرت صعوبة إحصاء أنواعها، فقد قسمت المفارقة في الدراسات الحديثة إلى أنواع عديدة مما يصعب على الدارس الإحاطة بها جميعا فـ «بعض هذه الدراسات انطلقت من تقسيمها للمفارقة من ناحية درجاتها، وبعضها من ناحية تأثيرها، وبعضها من ناحية موضوعها»[2] .

وقد التفت «ميويك» إلى أن ثمّة معايير للتمييز بين أنواع المفارقة حصرها في ثلاثة نقاط هي:[3]

- الموقف من ضحية المفارقة : وقد يتراوح هذا الموقف بين درجة عالية من التجرد إلى درجة عالية من التعاطف.

- مصير الضحية: انتصار أو اندحار.

- مفهوم الحقيقة: ويعني وجهة نظر المراقب ذي المفارقة من الحقيقة فيما إذا كان يعتقد أنها تعكس قيمه، أو أنها معادية لجميع القيم البشرية.

ومن هذه المعايير يستنبط (ميويكMeuck) المفارقات الآتية[4]: المفارقة الكوميدية، المفارقة، الهجائية، المفارقة المأسوية، المفارقة العدمية، المفارقة المتناقضة.

لكنه انتبه (ميويك) أيضا إلى أن المفارقة تتبدى في شكلين رئيسيين هما:

---

[1]- ينظر: حسين عبد الجليل، المفارقة في شعر عدي بن زيد الموقف والأداه، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، د.ط، د.ت، ص11.

[2]- نوال بن صالح، خطاب المفارقة في الأمثال العربية (مجمع الأمثال للميداني أنموذجا)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، 2011-2012، ص42.

[3]- د-سي-ميويك، المرجع السابق، ص188.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص188-189.

- المفارقة اللفظية (l´ironie verbale)
- مفارقة الموقف (Ironie Situationnelle)

ففي المفارقة اللفظية نجد نمطين: أسلوب «الإبراز» وأسلوب «النقش الغائر»[1]

أما مفارقة الموقف فقسمها "ميويك" إلى خمسة أنماط هي[2]:

- التنافر البسيط.
- مفارقة الأحداث.
- المفارقة الدرامية.
- مفارقة خداع النفس.
- مفارقة الورطة.

وإلى جانب هذه الأنماط يذكر(ميويك) أنماطا أخرى للمفارقة: المفارقة العامة، المفارقة الرومنسية، المفارقة الكونية، مفارقة الاستخفاف بالذات (السقراطية) المفارقة اللاشخصية، المفارقة الخاصة، المفارقة الساذجة، المفارقة الممسرحة، مفارقة الأحداث.

3- وظيفة المفارقة:

يرى (ميويكMueck) أنّ «للمفارقة وظيفة إصلاحية في الأساس، فهي تشبه أداة التوازن التي تبقي الحياة متوازنة أو سائرة بخط مستقيم، تعيد للحياة توازنها عندما تحمل على محمل الجد المفرط، أو لا تحمل على ما يكفي من الجد»[3].

أما عند نبيلة إبراهيم «فقد تكون سلاحا للهجوم الساخر، وقد تكون أشبه بستار رقيق يشف عما وراءه من هزيمة الإنسان. وربما أدارت المفارقة ظهرها لعالمنا الواقعي، وقلبته رأسا على عقب»[4]

---

[1]- ينظر: نوال بن صالح، المرجع السابق، ص 45.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص45

[3]- د-سي- ميويك، موسوعة المصطلح النقدي، المفارقة وصفاتها الترميز والرعوية، ص125.

[4]- نبيلة إبراهيم، المرجع السابق، ص132.

في حين يرى «محمد العبد» أنّ المفارقة تسهم في عملية الاتصال إذ إنّ «الطاقة التعبيرية التي نشعر بها مع المفارقة تنطلق من جعل المفارقة أعظم إسهاما في عملية الإتصال من مجرد الفهم السلبي»[1].

ومن خلال هذه الطرح يمكننا أن نستنتج أن المفارقة تشمل كل تلك الوظائف باعتبارها وسيلة طورها الانسان لمواجهة مجريات الحياة من حوله سواء حين عجزه عن مواجهتها بأسلوب مباشر، أو رغبة منه في زيادة فوائد المواجهة لتحقيق منفعة أكثر لصالحه.

ثالثا: اللامعقول

إننا لا نستطيع تحديد اللامعقول إلا من خلال تحديدنا للمعقول فيكون اللامعقول هو نقيضه.

1- مفهوم المعقول:

1-1- لغة: ترجع كلمة معقول في أصلها اللغوي إلى كلمة (عقل) والذي يعني حسب ابن منظور: الحجر، والنهي ضد الحمق.

وعقل فهو عاقل وعقول من قوم عقلاء، رجل عاقل هو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، والمعقول ما تعقله بقلبك، والمعقول: العقل يقال ماله معقول أي: عقل، والعقل: التثبت في الأمور.[2]

1-2- اصطلاحًا: إذ كان العقل هو حركة انتقالية دائمًا، ينتقل بها الإنسان خطوة بعد خطوة حتى ينتهي بتلك الخطوات إلى هدف مقصود كائنًا ما كان ذلك الهدف وكائنة ما كانت تلك الخطوات الموصلة. فإن هذا ليصدق على ميدان العلوم كما يصدق على ميادين الحياة العملية الجارية.[3]

---

[1]- محمد العبد، المفارقة القرآنية (دراسة في بنية الدلالة)، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1415هـ/1994م، ص36.

[2]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عقل)، مج11، ص 458.

[3]- ينظر: زكي نجيب محمود، المرجع السابق، ص 373.

والمعقول في الاصطلاح سمة لكل ما هو عقلي وقد عرفه "جميل صليبا" بقوله: "والمعقول ما يمكن ادراك حقيقته ومعرفة أسبابه، ويقابله التجريبي".[1]

إذن فالمعقول سمة لكل شيء نستطيع أن نثبت وجوده ونطرحه أمام الجميع ليتحقق من أراد من صدقه، وذلك من خلال عدم تناقض أسبابه مع قوانين العقل الأساسية.

وقد ذكر الدكتور زكي نجيب محمود جملة من المبادئ الأساسية للعقل حددها العقلانيون* نوردها كالآتي:[2]

1- إن النقيضين لا يجتمعان معًا في شيء واحد ومن جهة واحدة وفي لحظة بعينها، فليس من مبادئ العقل أن يكون على سبيل المثال شكلاً هندسيًا ما مربعًا، وليس مربعًا في آن واحد.

2- أن يكون الشيء الواحد ذا هوية واحدة مهما تعددت ظواهره.

3- أن يكون بين المقدمة ونتيجتها علاقة ضرورة. بمعنى أنه يستحيل عقلاً أن تصدق المقدمة ولا تصدق نتيجتها معها.

4- الخبرة ليست من مبادئ العقل عند العقلانيين حتى إن تكررت آلاف المرات، وأمدت الانسان بما يشبه اليقين.

إذن فكل تصور أو حالة أو موقف ينتهي إليه الانسان ناقض المبادئ المذكورة آنفًا، ولم يكن نتيجة لمقدمات استدلالية أو تحقق تجريبي يفلت من قبضة المنطق، ويخرج من دائرة المعقول، فيستعصي بذلك على الفهم والتفسير وعند ذلك يلجأ العقل إلى رفع صفة المعقول عنه بإحالته إلى ما يسمى بـ «اللامعقول».

---

[1]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، د.ط، 1982م، ص 395.

* العقلانيون نسبة إلى العقلانية: وهي نزعة فلسفية تمجد العقل، وتعتبره المصدر الأول للمعرفة والوسيلة الأساسية والوحيدة التي بها نبرهن ونستدل.

[2]- ينظر: زكي نجيب محمود، المرجع السابق، ص 365-366.

2- مفهوم اللامعقول:

2-1- لغة:

«اللامعقول» في معجم لاروس الفرنسي Irrationnel: وتعني عكسي، غير قابل للدخول للعقل والإدراك مثل: خوف غير معقول.

وفي الرياضيات: يقال لعدد ليس حاصلا لقسمة لعددين صحيحين.[1]

2-2- اصطلاحًا: «يطلق اللامعقول عامة على قطاع من الظواهر لا يلقى تفسيرًا ضمن قوانين العقل. ويشيع أيضًا صفة للثقافة التي تقع على هامش الثقافة الرسمية، أي أن الثقافة الشعبية بما تضمنه من أدب الحمقى والمجانين والقصص الشعبي، وتشمل كذلك الآلية التي تحكم الفكر ضمن هذه الثقافة».[2]

3- تجليات اللامعقول:

إن اللامعقول في ثقافتنا الشعبية قد فرض وجوده عمليًا في سلوك الناس وممارساتهم، وقد تجلت هذه الممارسة في فضاءات منها: الأسطورة والتصوف، والسحر والشعوذة، وجوانب من الدين، والعادات والتقاليد.

3-1- التصوف: فالمتصوف يعتمد في رؤيته للحقيقة على إدراك يكون في لمحة واحدة شبيهة بلمعة الضوء الخاطفة، والتي يسميها الرؤية الكاشفة (الحدس) عما حجبته الأستار عن سائر الناس، فلا انتقال هنا من مقدمات إلى نتائج، وهذه الرؤية الكاشفة خصيصة تكفي وحدها ليدخل التصوف في عالم اللامعقول.[3]

وعليه فالمتصوف لا ينظر إلى الوجود بوسيلة العقل الذي يعتمد الاستدلال، والتحليل والتدرج للوصول إلى الحقيقة، وإلا لما اعتبر الكرامات لا تناقض العقل، رغم أن حدوثها

---

[1] – Le Plus Petit Larousse Illustre, Paris 1986, P 541.

[2]– لؤي علي خليل، العجائبي والسرد العربي (النظرية بين التلقي والنص)، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2014، ص 70، نقلا عن: بوحفص سهام، جمالية الحكي العجائبي في رواية «الدراويش يعودون للمنفى»، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2017- 2018، ص 18.

[3]– ينظر: زكي نجيب محمود، المرجع السابق، ص 379.

يجاوز قوانين الطبيعة، وإذا كان الفيلسوف يعتبر التعارض، والتناقض عائقًا أمام المعرفة لأنهما ليس من مبادئ العقل فإن الصوفي يعتبره – التناقض والتعارض– مبدأ من مبادئها (المعرفة).[1]

وغالبًا ما يرتبط بالتصوف في مجتمعنا «الكرامة» وذلك لارتباط المتصوفة بالزوايا والأولياء.

ويعتقد غالبية المجتمع بكرامات الأولياء، فمن المعلوم لدى الجميع أن المعجزة للأنبياء، والكرامة للأولياء. والكرامة من حيث كونها أمر خارق للعادة بأفعال وأقوال يعجز عنها غير الولي، تتنكر للمنطق وقوانين العقل، وتمثل في «الجانب الأكبر منها نتاج لاواع. وهي هنا لا تخضع تمامًا لمقولات المنطق كمقولتي المكان، والزمان مثلاً، ولا تظهر كحقيقة صاغتها التجربة وتحكم فيها العقل، وقادها الفكر الواضح والمعالجة الواقعية، والموضوعية».[2]

3–2– السحر: يعتبر السحر تعليلاً للأحداث بغير أسبابها الطبيعية، وفيه تكون العلاقة بين المقدمة ونتيجتها علاقة غير مباشرة : «لعل من قمة اللامعقول في حياة الانسان العملية – والعلمية الزائفة كذلك – أن يدخل السحر عاملاً من عوامل المسير والمصير»[3].

فإذا كانت علة مرض ما جراثيم تسببه يزول بإزالتها– من وجهة نظر علمية– كانت علته عند الساحر جنيًا يسكن جسد المريض، وهذا تفسير لا معقول.

3–3– الأسطورة: تعتبر الأسطورة متخيلاً إنسانيًا لأحداث لا تنتمي إلى المعقول، ولا إلى الواقع المحكوم بقوانين العقل إلا أنها – الأساطير– تكثر في ثقافتنا الشعبية سيما تلك المتعلقة بالأولياء، وكراماتهم ومن بين الأساطير الكثيرة المتعلقة بكرامات الأولياء الصالحين، تلك الأسطورة المؤسسة لمدينة الدبيلة* والتي أسسها الولي الصالح سيدى علي بن خزان، حيث تقول الروايات الشفاهية لشيوخ تلك المنطقة أنها تأسست في مكان سقوط عصا الولي

---

[1]– ينظر: محمد زياني، فلسفة اللامعقول في الخطاب الصوفي، إصدارات إي كتب، لندن، ط1، 2017، ص 99.

[2]– علي زيغور، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم (القطاع اللاواعي في الذات العربية)، دار الأندلس، لبنان، ط2، 1984، ص 30.

[3]– زكي نجيب محمود، مرجع سابق، ص397

* الدبيلة: مدينة تقع شرق مدينة الوادي، بالجنوب الجزائري، هي حاليا مقر دائرة، بها ضريح سيدي علي بن خزان.

الصالح سيدي علي بن خزان، والذي كان على بعد عشرين كيلومترًا من الدبيلة فهتف له هاتف أن ارم عصاك فسقطت في تلك المنطقة – الدبيلة – وانبجس في مكان سقوطها الماء وأصبحت المنطقة صالحة للسكن، والزراعة.[1]

ونحن نرى أن أحداث هذه القصة لا تستقيم مع المنطق والعقل فلا يمكن لإنسان مهما بلغت قوته أن يرمي شيئًا فيقع على بعد عشرين كيلومترًا، ثم ما مبرر انبجاس الماء في موضع سقوط العصا؟

3-4- الدين: لا يحتكم الدين في جميع جوانبه إلى المنطق فإذا كان الفقه مثلاً مبنيًا على قواعد عقلية، فإن هناك جوانب أخرى من الدين لا تحتكم إلى المنطق وقواعد العقل الأساسية لذلك لا تنتمي – من وجهة نظر العقلانيين – إلى المعقول، فإذا كانت علة المطر الطبيعية – مثلاً – هي مقدار ما يتكثف في الهواء من بخار الماء، كانت علته في ديننا عندما يتأخر نزول المطر ويسبب ذلك ضررًا صلاة تؤدى بطريقة معينة، وهي صلاة الاستسقاء ودعاء يتوجه به إلى الله تعالى.

وإذا كان الإدراك الفطري أو الحدس عند المتصوفة هو جوهر اللامعقول، فإننا كثيرًا ما نجده عند طائفة من السذج، وذوي البلاهة ،أو ما نسميهم في مجتمعنا المجانيين والدراويش، ولذلك كثيرًا ما نرى جمهور الناس يتبركون بهم، وينصتون إلى كلامهم، ويعتبرونه الحق يجرى على ألسنتهم.

[1]– ينظر: أحمد زغب، الأدب الشعبي (الدرس والتطبيق)، مطبعة سخري، الوادي، ط2، 2012، ص 30.

الفصل الأول

المفارقة واللامعقول في السحر

أولا: مفهوم السحر ومكوناته

1- مفهوم السحر

2- مكونات السحر

ثانيا: أنواع السحر وعلاقته بالدين

1- أنواع السحر

2- علاقة السحر بالدين

ثالثا: المفارقة واللامعقول في الطقوس السحرية

1- الطقوس السحرية

2- تحديد المفارقة واللامعقول في الطقوس السحرية

أولا: مفهوم السحر ومكوناته

عاش الإنسان منذ وجوده على سطح الأرض مخاوف كثيرة، مرة بسبب مظاهر الطبيعة المختلفة وأخرى من وحوشها الكاسرة. وتعطش في كل وقت إلى كشف مصيره، وتبديد قلقه، وأمام هذا التعطش سعى الإنسان إلى نيل معونة من قوى علوية يعتقد أنها محيطة به، ومن هنا بدأ السحر وتعددت أنواعه، ولقد تعاطت الشعوب جميعها فن السحر في كل مراحل التاريخ، فما هو السحر إذن؟

1- مفهوم السحر:

1-1- السحر لغة:

جاء في لسان العرب: السِّحْرُ عَمَلٌ تُقُرِبَ فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، كل ذلك كينونة للسحر، ومن السحر الأُخْذَةُ التي تأْخُذُ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى وليس الأصل على ما يرى، والسِّحْرُ: الأُخْذَةُ وكل ما لطف أخذه ودقَّ فهو سِحْرٌ[1].

ويلاحظ أن مادة "سحر" وردت بمعان شتى، وفي القاموس المحيط: قيل السحر إخراج الباطل في صورة الحق، وهو في اللغة صرف الشيء عن جهته، وقيل السحر عمل يتقرب به إلى الشيطان ومعونة منه، والسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان مما لا يستقل به الإنسان[2].

إذن فكل من ابن منظور، والبستاني له رؤية تحذر من السحر، وتعده من الأعمال التي يتقرب فيها الإنسان من الشيطان وبمعونة منه وأعوانه يحصل السحر.

1-2- السحر اصطلاحا:

لقد لفت السحر أنظار العديد من الباحثين والفلاسفة وعلماء الأنثروبولوجيا، وحاول كل منهم أن يعطيه مفهوما من وجهة نظره لذلك تعددت تعريفاته التي سنورد بعضها:

---

[1]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "السحر"، ص 402-403.

[2]- ينظر: المعلم بطرس البستاني، قاموس المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ج6، ص 399-400.

يعرف محمد محمد جعفر السحر بقوله: "هو العمل الذي يقوم به شخص معين تتوافر فيه شروط مخصوصة تحت ظروف واستعدادات غير مألوفة وبطرق سرية غامضة، وذلك للتأثير على شخص أو جملة أشخاص رغم إرادتهم لتحقيق غرض معين له، أو موصى به"[1].

ولم يبتعد التعريف الذي ورد في "معجم الفلكلور" للسحر عن المعنى اللغوي حين اعتبر السحر صرف الشيء عن حقيقته، أو صورته إلى شيء آخر مخالف للحقيقة، أو هو الخيال المحض. وهو فن السيطرة على الكائنات الخارقة أو السيطرة على الطبيعة بوسائل خارقة[2].

أما "إيفانز بريتشارد" فيعرف السحر بأنه: "القدرة الكامنة على إيذاء الآخرين باستخدام وسائل غير طبيعية"[3].

قد تمت الإشارة في هذا التعريف إلى أن السحر يلحق الضرر بالآخرين، وهذا النوع من السحر هو السحر الأسود، أما السحر الذي نحن بصدد دراسته فهو السحر الذي يعتقد أنه يعود بالنفع.

وقد اعتبرت الباحثة سامية الساعاتي أن السحر من الظواهر التي يمكن أن نطلق عليها اسم "النظائر الثقافية" وهي ظواهر ثقافية متشابهة توجد في مختلف أجزاء العالم، فكل الشعوب تعرف الحجاب، أو الطلسم والنذور، وطقوس الأعمال السحرية المختلفة كالصمت والصوم وخلو المعدة من الطعام...الخ[4].

أما "فريزر" فقد وصف السحر "بالعلم الزائف الكاذب" في قوله: "إن السحر نسق كاذب أو زائف للقانون الطبيعي، مثلما هو موجه مضلل للسلوك، إنه علم كاذب زائف بقدر ما هو فن عقيم"[5].

---

[1]– محمد محمد جعفر، كتاب السحر، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 34.

[2]– ينظر: عبد الحميد يونس، معجم الفلكلور – مع مسرد إنجليزي – عربي –، القاهرة، كانون الثاني (يناير)، 1982، ص 291.

[3]– أحمد زغب، الفلكلور (المنهج، النظرية، التطبيق)، مطبعة دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2015، ص 46.

[4]– ينظر: سامية الساعاتي، السحر والمجتمع، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1983، ص 07.

[5]– جيمس فريزر، الغصن الذهبي – دراسة في السحر والدين–، تر: أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1981، ج1، ص 105.

من خلال هذه التعريفات نخلص إلى أن السحر حقيقة موجودة، وهو يكوّن جواّ طقوسيا خاصا تتآلف فيه جملة من العناصر المحسوسة، واللامحسوسة.

إنّه فنّ الممكن الذي بمقتضاه تفعل الرموز فعلها في المكون المادي، والنفسي على حد سواء، وهو منتشر في كافة المجتمعات.

2- مكونات السحر:

إذا كان الدين في شكله المعروف يتكون من ثلاثة مكونات أساسية، هي: المعتقد، والطقس، والأسطورة[1]، فإن السحر والذي هو أكثر أشكال الدين بدائية يتكون من مكونات مشابهة ولكنها تأخذ شكلا بسيطا وأوليا وهذه المكونات، هي:

2-1- الطقس السحري: وهو أساس السحر، وجوهره، ويقوم أساسا على قدرة وقوة الساحر في تحويل الشبه إلى حقيقة، ويتطلب هذا حركات وأفعالا يقوم بها الساحر لكي يوحي بذلك، وهذا يعني أن شخصية الساحر هي الركن الأساسي في السحر لأنها هي التي تؤدي السحر[2].

2-2- المعتقد السحري: يقوم على أساس وجود قوة مقدسة داخل شخصية الساحر تمكنه من السيطرة على العالم الخارجي والتحكم به، ويكون المعتقد مضمرا خلاف الطقس[3].

2-3- التعويذة (الكلمة السحرية): وهي الركن الثالث الذي يقوم عليه السحر، وهي ما يطلقه الساحر من ألفاظ أثناء قيامه بأداء الطقس* السحري، إلا أنها تشكل الجانب اللفظي منه بينما يشكل الطقس نفسه الجانب العملي[4].

---

[1]- ينظر: فراس السواح، دين الإنسان، منشورات دار علاء الدين، سورية، ط4، 2002، ص 47.

[2]- ينظر: خرعل الماجدي، بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين)، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 1997، ص 37.

*- الطقوس مجموعة من السلوكات والأفعال والأقوال التي يقوم بها الإنسان بصفة مكررة يتفق عليها المجتمع، ذات علاقة بالدين والسحر والمعتقد الاجتماعي، يحدد العرف الاجتماعي دوافعها وأغراضها (أحمد زغب، الفلكلور، ص 29).

[3]- ينظر: خرعل الماجدي، المرجع السابق، ص 37

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص 38.

ثانيا: أنواع السحر وعلاقته بالدين

1- أنواع السحر:

يذهب العلماء والباحثون في تصنيف السحر إلى تصنيفات ومذاهب شتى، ويرجع الاختلاف في التصنيف إلى الخلفيات الفكرية المتباينة لهؤلاء، والملاحظ أن غالبيتهم يتجهون إلى التصنيفات الثنائية للسحر[1].

ونذكر من هذه التصنيفات والأنواع ما يلي:

1-1- السحر التشاكلي والسحر الاتصالي:

ويطلق على هذين النوعين تسمية واحدة عامة، وشاملة وهي السحر التعاطفي، نظرا لأن الاثنين يفترضان إمكان تأثير الأشياء في بعضها البعض من بعد عن طريق نوع من التعاطف الخفي.

أ. **السحر التشاكلي:** ويعرف أحيانا بسحر المحاكاة، ويقوم على استخدام مبدأ التشابه "الشبيه ينتج الشبيه" وربما كان من أكثر مظاهر استخدام مبدأ التشابه شيوعا وانتشارا هي المحاولات التي يقوم بها كثير من الناس في مختلف العصور لإلحاق الأذى بأعدائهم عن طريق إيذاء صورهم اعتقادا منهم أن ما يلحق الصورة من شر وضرر يلحق بصاحبها[2].

ب. **السحر الاتصالي:** ويقوم على فكرة أن الأشياء المتصلة تظل – حتى بعد أن تنفصل تماما أحدهما عن الآخر – في علاقة تعاطف، بحيث إن ما يطرأ على أحدهما يؤثر تأثيرا مباشرا على الآخر (...) وربما كان أشهر مثل للسحر الاتصالي هو التعاطف السحري الذي يفترض وجوده بين الإنسان وأجزاء جسمه، كالشعر، والأظافر حتى بعد أن تنفصل هذه الأجزاء عنه. بحيث أن وقوع شعر شخص ما، أو أظافره في يد شخص آخر يجعله خاضعا لإرادته مهما بعدت المسافة بينهما[3].

---

[1]- ينظر: سامية الساعاتي، المرجع السابق، ص 89.

[2]- ينظر: جيمس فريزر، المرجع السابق، ص 109.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 181.

1-2- السحر الأبيض والسحر الأسود:

يقسم السحر باعتبار نية نفعه، وضرره إلى سحر أسود، وسحر أبيض.

أ. **السحر الأبيض:** وهو الذي يلبي أغراضا تعود على الفرد والمجتمع بالنفع، دون أن تلحق الأذى بأي شخص أو تتعارض مع أعراف وقوانين المجتمع وأهم أنواعه السحر الخاص بالتنبؤ بالمستقبل، أو التنبؤ بالغيب، والسحر الخاص بالعلاج، أو التداوي والتطبيب[1].

ب. السحر الأسود: وهو الذي يهدف إلى إلحاق الأذى بالآخرين، أو تحقيق مصلحة شخصية على حساب الآخرين، ومن أبرز أشكاله سحر الانتقام[2].

1-3- السحر السلبي والسحر الإيجابي:

أ. **السحر الإيجابي:** يقول السحر الإيجابي أو الطلس "افعل كذا حتى لا يحدث كذا" ويهدف إلى تحقيق شيء مرغوب فيه[3].

ب. السحر السلبي: يقول السحر السلبي أو التابو "لا تفعل كذا حتى لا يحدث كذا" ويهدف السحر السلبي أو التابو إلى تجنب شيء مرغوب عنه.

ومع ذلك فإن كلا النتيجتين – أي المرغوب فيه والمرغوب عنه – تحدثان تبعا لقانوني التشابه والاتصال[4].

1-4- السحر الشعبي والسحر الرسمي:

أ. **السحر الشعبي:** وهو سحر عامة الشعب، ويقوم أساسا على المعتقد المحفوظ في صدور الناس[5]، ويمارسونه دون أن يكونوا مختصين، ومثاله صبّ الماء وراء الشخص المسافر حتى لا يتأخر بالعودة.

---

[1]- مصطفى واعراب، المعتقدات الطقوس السحرية في المغرب، كتاب الشهر، صادر عن جريدة الأحداث، الدار البيضاء، 2003، ص 15.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- ينظر: جيمس فريزر، المرجع السابق، ص 131.

[4]- ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[5]- ينظر: سامية الساعاتي، المرجع السابق، ص 98.

ب. السحر الرسمي: هو سحر الخاصة، ويحرص بشدة على أن يبقى على خصوصيته، وألا يذاع – سر المهنة– مهددا قارئه، ويمارس هذا النوع الذين يقرؤون كتب السحر ككتاب شمس المعارف الكبرى للبوني[1].

كما توجد تصنيفات أخرى للسحر مثل السحر العام، والسحر الخاص، والسحر الدفاعي، والسحر العدواني.

2- علاقة السحر بالدين:

يكاد السحر يماثل الدين في كونه تجربة داخلية تتعالى عن كل تعميم أو تقنين، فالله موجود، لكن التحقق من وجوده لا يتم إلا باطنيا، وبشكل فردي ومن تتكشف الحجب بينه وبين الماوراء يعسر عليه أن يشرك الآخرين فيما يراه، ويسمعه هناك، لأن تلك الرؤية والكلام لا يمنحان نفسيهما إلا للفرد وللفرد وحده، وبكلمة واحدة، مثلما يعسر على المؤمن إقناع الملحد (المتمادي في إلحاده) بوجود الله عن طريق استدعاء براهين حسية ملموسة دامغة، ويعسر على الملحد إقناع المؤمن (الغارق في الإيمان) بعدم وجود الله كذلك يشق على عديم الإيمان بالسحر أن يقنع الساحر والمسحور – خصوصا– ببطلان ما يؤكدانه[2].

وقد حاول فريزر التمييز بين السحر، والدين فرأى أن الدين يشترط الاعتقاد في الكائنات الروحية، أو الغيبية مثل الآلهة، بينما يتألف السحر من الأعمال والممارسات والشعائر المتصلة بالكائنات الأخرى[3].

---

[1]– ينظر: سامية الساعاتي، المرجع السابق، ص 98.

[2]– ينظر: مجموعة من المؤلفين، السحر من منظور إثنولوجي، تر: محمد أسليم، أفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 2009، ص 09.

[3]– ينظر: سامية الساعاتي، المرجع السابق، ص 122.

ثالثا: المفارقة واللامعقول في الطقوس السحرية

1- الطقوس السحرية:

قبل عرضنا للطقوس السحرية التي استطعنا جمعها من الميدان ينبغي أن نشير إلى أن الطقوس السحرية على نوعين: طقوس سحرية خالصة، وطقوس سحرية دينية، وسنورد هنا الطقوس السحرية الخالصة والتي قسمناها بحسب الغرض منها:

1-1- طقوس سحرية علاجية:

يذكر "وليام هاولز" أن أهم قسمين، أو نوعين من أنواع السحر في كل أنحاء العالم هما السحر الخاص بالتنبؤ بالغيب، والسحر الخاص بالعلاج والتداوي.

ويرد "هاولز" تلك الأهمية إلى أن "المرض والشك هما دائما أشد، وأقسى أسباب القلق الشخصي والاجتماعي. وهذا نفسه هو السبب في وجود المشتغلين بقراءة الكف وورق اللعب والعرافين، والمنجمين وأمثالهم بيننا، كما أنه السبب في أن الناس لا يزالون يقبلون على كل أنواع طب البركة، أو طب العجائز على الرغم من الطب الحديث بكل معلوماته الصحيحة الشاملة"[1].

أ. **طقس التكريب:** وتختلف تسميته حسب المناطق، فقد يسمى التكريب أو التطياح أو غير ذلك. وهو طقس شعبي يستخدم لعلاج العين، وهي من الأمراض النفسية التي يصاب بها الإنسان[2]، والعين تطلق على الحسد، ويقولون للمحسود أصابته عين[3]، والإصابة بالعين تسمى عند أهل البادية "بالنفس" والمصاب بها يسمى "المَنْفُوسْ" ويعتقدون أن عين الحاسد لها تأثير فعال، ولها القدرة على إيذاء من أصابته، وهناك أناس مشهورون بالعين فيتقونهم بإبعاد العزيز لديهم عن مدى نظرهم[4].

---

[1]- سامية الساعاتي، المرجع السابق، ص 106.

[2]- ينظر: خزعل الماجدي، مرجع سابق، ص 206.

[3]- ينظر: أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، (د.ط)، 2013، ص 286.

[4]- ينظر: محمد المرزوقي، مع البدو في حلّهم وترحالهم، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1984، ص 223.

وتقوم بطقس "التكركيب" في الوسط الشعبي امرأة تقول إن هذه الممارسة معطاة لها من أمها، وأمها هي الأخرى أخذتها عن أمها وهكذا، وتستعين المعالجة هذه بوسائل خاصة أثناء العلاج تنزع "الكركابة" عصابتها التي تعصب بها رأسها، وتضعها على الأرض أو فوق حجرها وتقيس مقدار ذراع وتعين المكان بشوكة، وتقيس ذراعا آخر وتعين بشوكة ثانية، ثم تقيس ذراعا ثالثا وتعين بشوكة ثالثة، ليكون طول العصابة ثلاثة أذرع تقريبا ثم تجمع العصابة في يدها وتبدأ بالتكركيب على المريض، بحيث تمرر تلك العصابة على جميع أنحاء جسده وهي تردد:

بـــســـــم الله والنبي رسول الله
سبقت سيدي قدام ايدي
محمد صرختي وعويني عين من شافتك
في النار تتحرق وشريم* تتفرق
يا نفس يا لعينة يا خلاّية الحجور يا عمّارت القبور
قالت كون ميش خايفة الله والرسول
الرجال نديرها في القبور والجمال نديرها في القدور
قالها تكذبي يا كاذبة الملعون
الجاه جاه الله ونبينا المشكور
نبينا نبيك ونبينا غلبنا عليك
كأنك من الخدم أنْدْري من القدم**
وكأنك من الرجال أندري من الجبال
حُضارة نُضارة في العيون الكُفَّارة
الحاسدين والفاسدين اللّي ما يصلوا على محمد

* شْرِيم: يقصد بها الحديد
** أندري: أخرجي

يا نفس يا نفيسة أخرجي من هالفريسة
لا تشربي لها دم لا تأكلي لها عظم
نحيتك من سبع عينين لحتك* في سبع طواجين
غلبناك بالله يا شافي يا عافي
ربي فوقهم وافي

ثم تقرأ المعوذتين. بعد ذلك تقوم بقياس عصابتها فإذا وجدت طولها لقد زاد عن ثلاثة أذرع فذلك يعني أن المريض مصاب بالعين، ثم تكرر العملية ثلاث مرات، في كل مرة تقيس عصابتها وفي المرة الثالثة، وبعد قراءة المعوذتين تقوم بتسبيع العصابة فوق رأس المريض – إدارتها سبع مرات فوق رأسه – ثم تقيسها فتجد أن طولها قد عاد إلى ثلاثة أذرع، وبذلك تعلم أن العين قد زالت عن المريض، ثم تنزع الشوكات من العصابة وتضعها وسط كمية من الملح وتقوم بتسبيعها فوق رأس المريض وهي تردد: "يا ملح يا مليحْ، يا ملح السبخة والريح، جَبَاتَكْ البَغَالْ المطية، نَحَاتك الفِيسان** الهندية، بركة الله والأولياء، نَحْ شر هالبنية (أو الوليد)، يا شافيه يا عافيه، يفرج الله عليه" ثم تنزع الشوكات من الملح وتعطيه لأم المريض أو قريبه وتطلب منه أن يخلطه مع القليل من الكمون الأسود ويبخر به بعد العصر وقبل غروب الشمس وتقول المرأة "الكركابة" أنها لابد أن تقبض لقاء هذا الطقس قطعة نقدية لقاء عملها، وإلاّ فإن "النفس" التي خرجت من المريض ستعود عليها في الليل وتسبب لها "الحمى" أو وَهَنًا في جسدها[1].

نلاحظ في هذا الطقس ملامح السحر التشابهي حيث أن زيادة طول العصابة يشبه بوجود المرض (العين)، ثم اختفاء تلك الزيادة تدريجيا يشير إلى اضمحلال المرض.

* لحتك: رَميتك

** الفِسان: (ج: فأس).

[1]– لقاء مع السيدة: لبرق عيشة، 80 سنة، أمية، حي الطيبات الوسط، دائرة الطيبات، يوم 2018/11/22، على الساعة: 16:30.

كما نلمح في مخاطبة كل من العين والملح جذرا عقائديا قديما لما يسمى بالنظرية الإيحائية Animism التي تعتقد أن لكل شيء روح تحل فيه، فيصبح حيا وقادرا على الإتيان بأفعال معينة، وهذا الاعتقاد كثير الشيوع في الشعوب البدائية[1].

كما نرى في هذا الطقس عددا من الرموز مثل رمز العصابة التي لها علاقة بالرأس، والجن المتحكمة في الإنسان وأفعاله، وتسمى في الثقافة الشعبية "أصحاب الرأس".

بالإضافة إلى رمز كل من العدد ثلاثة، والعدد سبعة إذ يعتبر العدد ثلاثة عددا مقدسا لدى معظم الشعوب وهو يرمز إلى الخير والفأل والحظ الحسن، كما أنه عدد سحري[2]، في حين يرمز العدد سبعة إلى الكمال وقد آمنت به العديد من الشعوب، ويتمتع العدد سبعة في السحر بمقدرة مطلقة ويعدّ العدد السحري الأهم[3].

ب. طقس النُشْرَة: كثيرا ما يعتقد الناس أن سبب الأمراض هو الجن، لذلك يلجأ العديد منهم إلى طقوس معينة حتى يبعدوا عن المريض شرها، ومن هذه الطقوس الطقس الذي يسمى "النُشْرَة" والذي يقوم فيه أهل المريض باستضافة أهل الأرض* أو الصالحين على حد تعبير الرواية التي تقول: عند قيام أهل المريض بهذا الطقس يطبخون كسكسا باللحم أو شخشوخة باللبن ويشترط أن يكون الطعام مسُّوس* ثم يوضع الطعام في غرفة فارغة، ويضعون بجانب صحن الطعام إناءا به الماء، وإناءين آخرين أحدهما فيه الشعير والآخر فيه الماء (أي طعام أهل الأرض وطعام الدابة التي سيأتون عليها) ثّم يرددون: "أعطيناكم كرامتكم أعطونا سلامتكم رانا أُخيان (إخوة) لا تاذونا ولا ناذوكم، بجاه الله، والنبي رسول الله، اعفو على هالمخلوق " ثم تغلق الغرفة ولا تدخل إلا بعد مدة من الزمن.

---

[1] – مصطفى شاكر سليم، قاموس الأنثربولوجيا، جامعة الكويت، ط1، 1981، ص 53.

[2] – ينظر: معجم جان م. صدق، معجم الأعداد – رموز ودلالات –، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1994، ص 76.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص 137.

*– أهل الأرض: يقصد بهم الجن، إذ يتجنب المجتمع الشعبي مناداتهم بالجن، فيضع لهم أسماء أخرى للإشارة إليهم من بينها الصالحين، أهل الأرض، أهل الوطى.

*– مسوس: خالي من الملح.

تظهر ملامح السحر في هذا الطقس في مخاطبة الكائنات الخفية (الجن).[1]

ج. طقس حفرة النُّفَسَاء: ويكون في اليوم الثالث، أو السابع من الولادة، حيث يشتري الزوج اللحم، وتحضر أنواع من الأطعمة (شخشوخة، كسكس، زريقة).

وتحضر سبع قطع من الشحم الممزوج بالجاوي، والبخور وتُسبّع حول الأم ووليدها وتوضع هذه الشحوم السبعة في النار لمدة قصيرة، وبعد ذلك تحفر حفرة ويوضع بداخلها قليل من الأطعمة المحضرة مع الشحوم السبعة، وتقول القائمة بالطقس: "يا لالة الحفرة اعطيها صحتها وسرارها، واعطيها حليب الغيث، واعطيها في وليداتها، وزيديها لأمة محمد، ولي ما عندوش العمارة، ولي يفتش على قَسْمْ ربي يعطيه، بقدرة الله" وتقول الراوية لابد من قيام النفساء بهذا الطقس وإذا لم تقم به فإن شكل الطفل سيتغير.

وتقول نفس الراوية إذا كان هناك مريض في البيت لابد لأهله أن يحضروا سبع قطع من الشحم بالطريقة السابقة نفسها، وتوضع في صحن مع القليل من طعام العشاء ثم توضع فوق الصحن ريشة حمام، وفي الليل وبعدما ينام الناس يوضع هذا الصحن في السطح مقابلا للنجوم مع ترديد عبارة: "أعطيتك الدواء واعطيني الشفاء" ثم ينزل من وضع الصحن مباشرة ودون أن يلتفت إلى الوراء، وبذلك يكون الشفاء[2].

نلاحظ في طقس "حفرة النفساء" ما يسمى بالسحر التشابهي، فالحفرة هي عبارة عن بطن الأم، والشحوم السبعة رمز للأولاد الذين ستنجبهم، أما دفن تلك الشحوم في الحفرة فهو إغلاق رمزي لأي أذى قد يصيب المرأة، أو الأولاد الذين ستنجيهم.

ورمزية الريشة الموضوعة في الصحن الذي يوضع في السطح تدخل ضمن السحر التشابهي أيضا فهي طيران، أو ابتعاد رمزي للمرض، كما نلاحظ ما يسمى بالنظرية الإحيائية في مخاطبة الحفرة، بالإضافة إلى رمزية السبعة، والثلاثة.

---

[1]– لقاء مع السيدة: باشي سالمة، 69 سنة، أمية، حي سيدي المبروك، الطيبات، يوم 2019/02/23، على الساعة 14:40.

[2]– لقاء مع السيدة: باهي الزهرة، 89 سنة، أمية، تبسبست، الولاية المنتدبة تقرت، يوم 2019/02/22، على الساعة: 17:06.

د. طقس علاج ثدي المرأة المرضعة: تقول الراوية إذا عانت المرأة المرضعة من آلام في ثديها، تذهب إلى ثلاث نساء يشترط فيهن أنهن لم يبدلن الوجوه* وتأخذ الرماد من مواقدهن، ثم تقوم بقلب قصعة وتبلل فوقها ذلك الرماد مكونة منه عجينة على شكل كرة، ثم تقسم تلك الكرة إلى ثلاث كريات صغيرة، فتجد بين الأولى والثانية أو بين الثانية والثالثة شعرة تقوم بنزعها، وبمجرد استخراج المرأة لتلك الشعرة تشفى من آلام ثديها[1].

نلاحظ في هذا الطقس السحر التشابهي حيث تشبه كرة الرماد بثدي المرأة، أما الكريات الثلاث فهي عبارة عن خلايا الثدي، وتشبه الشعرة بالألم الذي تحس به المرأة، وبمجرد نزعها ينزع الألم من خلايا الثدي.

كما نلاحظ أيضا تكرار العدد ثلاثة الذي سبقت الإشارة إلى رمزيته.

1-2- طقوس سحرية خاصة بالتنبؤ بالغيب أو المستقبل:

وقد ذكر "هاولز" أن السحر الخاص بالتنبؤ بالغيب هو أهم أقسام السحر في العالم إلى جانب السحر الخاص بالعلاج، والتنبؤ بالغيب تحديدا هو العرافة، وقد يشمل الغيب الماضي أو الحاضر، أو المستقبل[2].

ولم يخلُ المجتمع الشعبي من سحر التنبؤ بالغيب، ومن بين الطقوس السحرية الخاصة بالتنبؤ بالغيب في مجتمع البحث نذكر:

أ. **ضرب الخفيف:** تقول الراوية: إذا أردت أن أعرف ما سيحدث لشخص ما في قادم الأيام، أضع الخفيف في إناء ثمّ أضعه على النار حتى يذوب، وبعد ذلك أقوم بتسبيعه على رأس ذلك الشخص ثم أسكبه في مهراس* (مِدَقّ) به ماء بارد، وأردد "لا حطيتك لا على

---

*- وصف يطلق على النسوة اللاتي تزوجن مرة واحدة في حياتهن.

[1]- لقاء مع السيدة، باشي سالمة، 69، سنة، أمية، حي سيدي مبروك، دائرة الطيبات، يوم 2019/02/23، على الساعة: 15:10.

[2]- ينظر: خزعل الماجدي، بخور الآلهة، ص 239.

*- المهراس (المدق): أداة مطبخية تصنع من الخشب أو الحديد أو النحاس متكونة من جزأين مستقلين، جزء يسمى "الرزامة" عبارة عن قطعة تؤخذ من وسطها في اليد ويضرب بها على المادة الموجودة في المهراس (أي الجزء الحاوي)، ويستعمل المهراس في سحق التوابل والحنة وغيرهما.

شرقي لا على غربي، لا أمطار تصب، لا ريح يْكب، حطاتك لالة فاطمة على جمال بوها الصباح، جاو لعشية، اصدق كيما صْدَقْ المخ في الركبة، اصْدَقْ كيما صْدق الحليب بين الإخوة، اصْدق يا مولاتي، والخير بيك يأتي الناس تقلك الخفيف ونّا نقلك الفارس النظيف" وبعد صبّ الخفيف في المهراس يعود بسرعة إلى حالته الصلبة آخذا أشكالا مختلفة هي عبارة عن رموز تشير إلى ما سيحدث للشخص المقصود في المستقبل[1].

وتقول راوية أخرى: أنه يمكن ضرب الخفيف بنفس الطريقة السابقة لإبعاد العين والحسد عن شخص ما أو بيت ما، مع إضافة القليل من الكمون الأسود والسبعة وعشرين* للخفيف بعد إذابته، وتؤكد أن ذلك الصوت الذي يصدره الخفيف أثناء صبه في الماء البارد هو الذي يطرد العين، كما أن ضرب الخفيف يفسخ السحر والحروز أو الأحجبة الموجودة في البيت الذي ضرب فيه، إضافة إلى فسخه السحر أو الحروز عن أربعين جار لذلك لابد لصاحب البيت إذا كان لديه حرز أو حجاب أن يدفنه قبل ضرب الخفيف[2].

ب. التاقزة: ويعنون بها التخمين والتكهن والتاقزة ضروب كما قال المرزوقي نجد: التاقزة بالبشر والتاقزة بالفول، والتاقزة بخط الرمل[3]، وقد استخدمت الراوية التاقزة "بالبشر" للتكهن والتخمين حيث تشرح طريقة استعمالها فتقول: عند استعمال التاقزة بالبشر وعند البدء في عملية القيس تبلل المرأة أصابعها بريقها ثم تردد: "لقزانة يا حنانة، لاحطيتك عن شرقي، ولا عن غربي، راني حطيتك عن الميت يجي ولا ما يجيشي " وتقيس بالشبر ثلاث مرات من رأس الكتف إلى طرف الأصبع الأوسط، وتكون ثلاثة أشبار بالضبط ثم تردد: "لقزانة يا حنانة، مشي سوال الميت جي سوال الحي، لاحطيتك لا عن غربي ولا عن شرقي حطيتك

---

[1]– لقاء مع السيدة: باشي فاطمة، 80 سنة، أمية، حي بومرداس، دائرة الطيبات، يوم 2018/11/24، على الساعة: 16:10.

*– عشبة عطرية تستعملها العجائز لطرد العين عن طريق تبخيرها.

[2]– لقاء مع السيدة: لبرق عيشة، 80 سنة، أمية، حي الطيبات، الوسط، دائرة الطيبات، يوم 2018/11/22، على الساعة: 16:30.

[3]– ينظر: محمد المرزوقي، المرجع السابق ، ص 165– 166.

عن (تذكر المرأة ما تريده أن يتحقق) كان صدقتي نحنيك وكان كذبتي نكويك، الناس تسميك القزانة، ونايا نسميك لميمة الحنانة "وتقيس بالشبر، فإذا زاد الشبر في المرة الثالثة عن طرف الأصبع الأوسط فإن الشيء المقصود يتحقق، وإذا لم يزد فإن ذلك المقصود لن يتحقق[1].

نلاحظ في كل من مخاطبة "الخفيف" و"القزانة" جذرا عقائديا قديما يسمى بالنظرية الإحيائية.

كما نلاحظ حضور الرقم سبعة، والرقم ثلاثة الذي يحمل كل منهما رمزية سحرية.

ج. طقس المحُقنْ (القمع) والمرآة: وهي ممارسة كانت تستعمل عند البدو قديما، والغرض منها معرفة أخبار القافلة المسافرة. وتشرح لنا الراوية طريق القمع والمرآة تقول: عندما تتأخر القافلة، ويرغب أهل المسافرين في معرفة موعد قدومهم يقوم أحد أقاربهم بحفر حفرة في الأرض عمقها ذراع، ويضع بداخلها مرآة، إذ لابد أن تكون في مكان مظلم، ثم يأتي بقمع مصنوع من السعف، ويضعه فوق المرآة بحيث يكون جزؤه المقعر فوق المرآة مباشرة والجزء الذي يشبه الأنبوب في الأعلى، ثم يطلب من صبي صغير لم يتجاوز عمره العاشرة – والسبب في ذلك أن الصغير لا يكذب – أن ينظر إلى المرآة، ويسأل ماذا يرى. فإذا أجاب بأنه يرى أشخاصا، أو شخصا من الذين في القافلة المسافرة دلّ ذلك على قرب قدوم القافلة، أما إذا أجاب بأنه لا يرى شيئا دلّ على أن القافلة ستتأخر في العودة[2].

وقد ذكر "جيمس فريزر" أن هذه الطريقة في التكهن كانت موجودة منذ العصور القديمة، والاسم الحديث لها هو "المرآة السحرية"، وكانت هذه الطريقة في مصر تستعمل أحيانا لكشف السارق وتسمى بضرب المندل حيث يطلب من صبي لم يتجاوز الثانية عشر أن ينظر

[1]– لقاء مع السيدة: بوغزالة محمد حدي، 76 سنة، أمية، حي البغازلية، الرباح، الوادي، يوم 2019/02/15، على الساعة: 18:35.

[2]– لقاء مع السيدة: باشي سالمة، 69 سنة، أمية، حي سيدي المبروك، دائرة الطيبات، يوم 2018/12/31، على الساعة: 11:49.

في قدح مملوء بالماء، ومنقوش عليه بعض العبارات، بينما يتمتم الساحر ببعض العبارات، ويسأل الصبي بعد وقت عما يراه، فإذا قال أنه يرى شخصا معينا يكون ذلك هو السارق[1].

1-3- طقوس سحرية متعلقة بالزواج:

يكتسي الزواج أهمية بالغة في كافة الديانات، والثقافات الإنسانية، وفي المجتمع الجزائري ككثير من المجتمعات يفضل الزواج المبكر، وبخاصة البنت في ظل مجتمع يفضل الزواج بصغيرة السن، فالزواج هو المصير الذي حدده المجتمع للنساء، وهو المستقبل الذي تنشأ المرأة وهي تتطلع إليه[2]، فالمجتمع التقليدي يعتبر أن حظ المرأة في الدنيا وسعادتها هو زوجها "المرا سعدها راجلها"[3]، لذلك تخشى المرأة العنوسة وتأخر الزواج.

وأمام عجز الإنسان عن إيجاد الحلول الواقعية المعقولة تلجأ الفتاة غالبا إلى الحلول السحرية إما بالذهاب إلى السحرة، والعرافين أو الرقاة والطلبة، أو بممارسة بعض الطقوس السحرية بعضها للتخلص من شبح العنوسة وأخرى للتنبؤ بعريس المستقبل.

أ. **طقوس للتخلص من العنوسة:** وطقوس التخلص من العنوسة كثيرة منها تردد الفتاة على الطلبة، والسحرة ومنها غير ذلك، ونذكر منها:

- **طقس تضييف السعد:** تجدر الإشارة إلى أن هذا الطقس قد يستخدم لأغراض أخرى منها تحسين العلاقة الزوجية، ومنها التخلص من العقم.

تقول الراوية عن هذا الطقس: تقوم الفتاة ليلة الثلاثاء بتحضير كسكس بمرق اللحم، ويشترط أن يكون لحم العرقوب* وتضعه في غرفة خالية، وتضع بجانبه إناءين أحدهما به القليل من الشعير والآخر فيه الماء (كأنه فارس آت على حصانه) وبعد مدة تدخل الغرفة

---

[1]- ينظر: جيمس فريزر، الفلكلور في العهد القديم، تر: نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1972، ص 377.

[2]- ينظر: جون ستيوارت ميل، استعباد النساء، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، ط1، 1997، ص 73.

[3]- مثل متداول في الأوساط الشعبية النسوية في مجتمع البحث.

*- العرقوب: لحم الفخذ أو الذراع.

لتأكل من الطبق وتوزع الباقي، ثم تقوم بالاستحمام، وتتزين كأنها تنتظر زوجها المسافر، ثم تخلد إلى النوم في غرفة لوحدها فترى في المنام نتيجة استضافتها لسعدها (حظها).

فإذا كان الغرض من هذا الطقس الزواج ترى في المنام حظها في زوج المستقبل، هل سيكون زوجا وسيما ومن عائلة غنية أو غير ذلك.

وتذكر الراوية أن هناك طريقة أخرى لاستضافة السعد تقوم فيها الفتاة بأخذ قرداش*، ويستحسن أن يكون جديدا، ثم تملأه بالصوف، وتضعه تحت وسادتها وتخلد إلى النوم بعد أن تكون قد تزينت بالطريقة نفسها فترى سعدها (زوجها المستقبلي) في الأحلام[1].

نلاحظ في هذا الطقس عددا من الرموز، فالقرداش من أدوات النسيج، والنسيج آلية من آليات السحر في العصر النيوليتي[2]، كما تعكس عمليات الغزل وجها آخر من أوجه الخصوبة، التي يوقظها الزوج المنتظر الذي تراه الفتاة في أحلامها، وتعتبر الأحلام في الكثير من الثقافات مصدرا هاما للمعلومات عن المستقبل أو العالم فوق الطبيعي، أو الحقيقة التي لا يدركها الوعي العادي[3].

ومما لا شك فيه أن زينة المرأة تجذب الرجل، وتغريه بالرغبة في الاقتران بها، وزينة الفتاة هنا ترمز لإغراء عريس المستقبل الذي سيزورها في الأحلام وبالتالي لا يتأخر مجيئه في الواقع.

ب. طقوس التنبؤ بزوج المستقبل: من أشهر الطقوس السحرية للتنبؤ بزوج المستقبل في مجتمع البحث "الشنشانة" وهي خبزة شديدة الملوحة تتناولها الفتاة لترى زوج المستقبل أو مكان تواجده في الحلم.

---

[1]– لقاء مع السيدة: باشي عائشة، 53 سنة، أنهت التعليم المتوسط، حي الظهراوية، بلدية الطيبات، يوم 2019/01/20 على الساعة: 21:30.

*– قرداش: أداة مشط الصوف، وهو عبارة عن خشبتين مسننتين بالمسامير يحك الصوف بينهما حتى يلين ويصبح قابلا للغزل.

[2]– ينظر: خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، الاردن، ط1، 1997، ص128.

[3]– ينظر: شارلوت سيمور شميث، موسوعة علم الإنسان، تر: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري، ص 49.

وتشرح لنا الراوية طريقة هذا الطقس تقول: إذا أرادت الفتاة التي تأخر زواجها، أو لم يتأخر أن تعرف زوج المستقبل ومكان تواجده، أن تجمع كمية من الدقيق من إمرأتين والملح من امرأة ثالثة، ويشترط في النساء أنّهن لم يبدلن الوجوه، كما هو متداول في الوسط الشعبي، وكل امرأة من الاثنين عليها أن تأخذ الدقيق دون أن تنظر إلى الكيس الذي تأخذ منه، ثم تعطيه للفتاة دون أن تنظر إلى الإناء الذي تجمع فيه الدقيق، والمرأة الثالثة تعطي الملح بنفس الطريقة. وبعد جمع الدقيق والملح تعجن الفتاة رغيفا حيث يكون شديد الملوحة ثم تنضجه، وفي الليل تبتعد الفتاة إلى مكان منفرد، ويشترط فيه أن يكون قريبا من بيت الخلاء ثم تضع غربالا مقلوبا، وتفرش فوقه جزءا من برنوس* صبي توفي والده وأمه حامل به، وتضع فوق الغربال " الشنشانة " بعد أن قسمتها إلى قطع صغيرة، وتأكل سبع قطع وهي جاثية على ركبتيها ويداها خلف ظهرها دون أن تشرب الماء. بعد ذلك تأخذ الغربال وترميه وراء ظهرها وهي تردد: " يا الكمون جيبو مجنون، يا الجاوي جيبو يداوي، يا البخور جيبو يدور " فإذا وقع الغربال منتصبا على حافته دلّ ذلك أن حظها في زوج المستقبل سيكون جيدا، وإذا وقع الغربال وهو في وضعية الغربلة دلّ ذلك على أن حظها في زوج المستقبل متوسطا، أما إذا وقع الغربال مقلوبا دلّ ذلك على أن حظها سيكون عاثرا، بعد ذلك تقوم الفتاة بظفر شعرها جهة واحدة وتكحل بالإثمد عينا واحدة، وتضع السواك على شفة واحدة، وتخضب يدا واحدة، ثم تخلد إلى النوم في مكان منعزل عن الذكور، وهي تشعر بالعطش الشديد، وأثناء نومها ترى في حلمها أنها تشرب الماء في مكان ما، أو بيت ما، وذلك يعني أنها ستتزوج في ذلك المكان أو من أحد أبناء ذلك البيت[1].

ويشترط في طقس " الشنشانة " أن يكون ليلة الأربعاء.

*– البرنوس: لباس تقليدي جزائري، وهو عبارة عن معطف طويل من الصوف يضم غطاء رأس مذنب وليس له أكمام.

[1]– لقاء مع السيدة: باشي التجانية، 47 سنة، تقرأ وتكتب، حي 20 مسكن، دائرة الطيبات، يوم 2019/02/23، على الساعة 11:45.

نلمح في هذا الطقس حشدا من الرموز من بينها حضور الرقم الفلكلوري "07" وكذلك الرقم "03"، ويرمز الغربال ذو الشكل الدائري إلى الأنثى أما البرنس فيرمز إلى الرجل الذي تحتاجه الأنثى وتنتظره.

والملح أيضا رمز للمرأة، فماء المرأة مالح كدر لأنه يعبر عن الأرض، بينما ماء الرجل عذب سماوي والماء رمز الحياة والإحياء[1].

أما القمح فله مدلول هام في كافة الثقافات الإنسانية، وهو في الإنجيل يشبه ملكوت السماوات على الأرض[2].

ويعد هذا الطقس من قبيل السحر التشابهي فالملح يوقظ خصوبة المرأة، وأنوثتها ومثلما تحتاج الأرض الخصبة إلى الماء العذب، فالأنثى تشرب ماءا عذبا في أحلامها، والأحلام مصدر هام للمعلومات عن المستقبل كما سبق الذكر. كما نلاحظ في مخاطبة الفتاة لكل من الكمون والبخور والجاوي جذرا عقائديا قديما لما يسمى بالنظرية الإحيائية.

وزينة الفتاة هنا شاذة غريبة، وهي ترمز لجمال الروح التي تغادر الجسد في الأحلام للبحث عن زوج المستقبل.

ج. **طقوس حماية عذرية الفتاة:** لما كانت عذرية الفتاة شرطا لابد منه عند الزواج للمرة الأولى، احتكر المخيال الشعبي شرف الفتاة في عذريتها، وخوفا من الفضيحة ليلة زفاف الفتاة اعتمدت الأمهات آليات وممارسات سحرية وجدن فيها ضمانا لعذرية بناتهن، تسمى هذه الممارسات بالتصفيح "وهو عمل سحري عادة ما تقوم به النساء للحفاظ على بكارة البنت إذا مارست الجنس مع أي كان فإنه يستحيل عليه فض بكارتها"[3]، ويسمى التصفيح في مجتمع البحث " بالربط " والطقوس التي تلجأ إليها الأمهات لربط بناتهن كثيرة نذكر منها:

---

[1]– ينظر: أحمد زغب، الفلكلور، النظرية المنهج التطبيق، ص 62.

[2]– العهد الجديد: إنجيل متى، الإصحاح 13– 24.

[3]– سعيد حسين العبدلي: ميكروسوسيولوجيا الجريمة من خلال الممارسة السحرية والشعوذة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد 05، فيفري 2014، ص 20.

- **طريقة سفك الدم:** تقول الراوية: تمارس عملية الربط "التصفيح" على البنت وهي بين سن السادسة، والعاشرة أي قبل البلوغ، حيث تقوم الأم أو أي امرأة مسنة بفَصد فخذ البنت سبع مرات بواسطة شفرة حلاقة ويمرر فوق الدم المسفوك سبع حبات حمص وترغم الفتاة على بلعها الواحدة تلو الأخرى، وفي كل مرة تضرب رجلها على الأرض وهي تقول: "ناحيط وولد المرا خيط بإذن الله وبإذن الرسول وبإذن سيدنا محمد المشكور صدق كلامي كيما نقول" ثم يحك مكان إراقة الدم بالفحم وتضيف الراوية أن نفس الطريقة تمارس لربط الذكر وشلّ قدرته الجنسية.

وقبل الزواج بأيام تمارس نفس العملية مع البنت، وحتى الذكر ولكن تكون التعويذة بالعكس أي: " ولد المرا حيط وناخيط بإذن الله وبإذن الرسول وبإذن سيدنا محمد المشكور"[1].

- **طريقة المنسج*:** وتشيع هذه الطريقة في كل من تونس والمغرب، حيث تتخطى البنت المنسج سبع مرات ذهابا وإيابا وهي تردد في كل مرة: " ناحيط وولد المرا خيط " بعد ذلك يغلق المنسج.

وهناك طريقة أخرى متعلقة بالمنسج تتبع في عملية الربط، وهي أن تقوم البنت بالبول في الحفرة التي تخلفها إحدى قوائم المنسج بعد نزعه من الأرض وهي تردد: " نا حيط وولد المرا خيط " ثم تدفن الحفرة.

وقبل الزواج بأيام يفك الربط باستعمال الطريقة نفسها لكن تنطق الفتاة التعويذة بالعكس[2].

ويمكن للأم التي نسيت كيفية ربط ابنتها أو توفيت المرأة التي قامت بالربط، ولم تعرف كيفية ربط ابنتها أن تأخذ صحن جديد لم يستعمل من قبل إلى الطالب فيكتب فيه تعويذة

---

[1]– لقاء مع السيدة: باشي فاطمة، 80 سنة، أمية، حي بومرداس، دائرة الطيبات، يوم 2019/02/20، على الساعة: 15:30.

*– شبكة من الخيوط الصوفية التي تصفف بشكل عمودي وسط هيكل خشبي وحولها تعقد النساء قطعا صغيرة من خيوط الصوف لصنع السجاد ...الخ.

[2]– لقاء مع السيدة: باشي سالمة، 69 سنة، أمية، حي سيدي المبروك، دائرة الطيبات، يوم 2019/02/23، على الساعة: 14:49.

ويطلب من الأم أن لا تعرضها لضوء الشمس ثم تغسلها بالماء، وتطلب من البنت المربوطة أن تشرب ماء غسيل ذلك الصحن، فيفك الربط.

كما يمكن للأم إذا أرادت فك الربط عن ابنتها أن تقوم بتسخين فأس حديدي حتى يحمر لونه ثمّ تضعه داخل إناء به ماء بارد، بحيث يكون ذلك الإناء موضوعا بين رجلي البنت لتتبخر بذلك الدخان المتصاعد من الماء، ثم تقوم البنت بالاستحمام بذلك الماء فيفك الربط.

نلاحظ ما يسمى بالسحر التشابهي في كل من طريقة سفك الدم وطريقة المنسج، فالألم، وإسالة الدم من الفخذ هو تعويض عن سيلانه بسبب تهتك غشاء البكارة، أما قوائم النول الأربع فهي ترمز إلى الذكر، وإغلاق المنسج هو إغلاق رمزي لأي إمكانية اتصال جنسي بينه وبين البنت.

كما نلاحظ ملامح السحر الاتصالي في الطريقة الثانية من الربط بواسطة المنسج، فبول الفتاة يعتبر جزءا منها ودفنه إنّما هو حفظ لعذريتها، وهذا الدفن هو إغلاق رمزي يؤدي إلى إغلاق فعلي لإمكانية الاتصال الجنسي.

2- تحديد المفارقة واللامعقول في الطقوس السحرية

لقد تعمدنا إيراد الطقوس السحرية السابقة على طولها، وببعض من الشرح، والتفسير حتى نقف على جانب اللامعقول فيها، ونبين المفارقات التي تتضمنها تلك الممارسات التي أفرزها المخيال الشعبي، كحلول لبعض من المشاكل والمخاوف التي كانت تنتاب الإنسان منذ بداية وجوده على هذه الأرض وقد اعتقد الفرد الشعبي في نجاعتها أيّما اعتقاد رغم عدم وجود تفسير منطقي لها.

2-1- المفارقة:

دائما ما يحيلنا مصطلح المفارقة على تحليل الخطاب السردي، أو الشعري، لكننا في بحثنا هذا حاولنا تطبيقه في تحليل جانب من جوانب الثقافة الشعبية وهو السحر، إذ حاولنا الوقوف على بعض المفارقات التي قلما تخلو منها الطقوس السحرية، وقد لاحظنا أن المفارقة في الطقوس التي تناولناها بالتحليل تظهر في التعويذات السحرية، وكذلك في

التناقض الموجود بين المعتقد والطقس وبالتالي حددنا نوعين من المفارقة، وهما مفارقة التنافر البسيط، والمفارقة اللفظية.

أ- **مفارقة التنافر البسيط:** يتحقق هذا النوع من المفارقة حينما يكون هناك تجاور بين ظاهرتين بينهما تنافر شديد أو عدم توافق[1].

ويعتمد وجود هذا النوع من المفارقة على التناقض الموجود بين معتقد الجماعة الشعبية الممارسة لهذه الطقوس، وبين واقع الطقس الذي لا يخلو من رموز، وعناصر تشير إلى حقيقته السحرية.

ففي طقس "التكركيب" تعتقد المرأة الممارسة له، وحتى المريض وأهله أنها مُعالجة شعبية أخذت خبرتها عن أمها، وتستعمل في علاج المرضى أيّا كان مرضهم وسائل تقليدية بالإضافة إلى قراءة القرآن، وتعويذة تشبه الرقية تساعد المريض على التخلص من الحسد، لكن هذا الطقس يحمل حشدا من الرموز التي تدل بوضوح على أنه سحر من بينها مخاطبة المرأة المعالجة لقوى خفية من خلال التعويذة التي ترددها، بالإضافة إلى مخاطبة كل من النفس اللعينة والملح، ورمزية الملح أيضا الذي كثيرا ما يستخدم في مجتمع البحث في ممارسات العلاج السحري سواء برشه بعد مزجه بالماء أو بتبخيره مثلما يحدث في هذا الطقس (التكركيب) وقد استخدم الملح منذ العصور القديمة في إزالة السحر، والعلاج من الأمراض التي لم يعرف لها سبب عقلي[2].

وذلك لأن الجان لا تحب الملح حسب المعتقد الشعبي، ولا تخفى علينا رمزية العصابة التي تشير إلى الجان المتحكمة بكل إنسان، فكأن المعالجة تتوسل لها حتى تساعدها في شفاء المريض من العين والحسد.

إن هذا التناقض الواضح بين المعتقد والطقس يكشف عن مفارقة لافتة.

---

[1]- ينظر: د- سي- ميويك، المرجع السابق، ص 27.

[2]- ينظر: عبد الحكيم خليل سيد أحمد، دراسات في المعتقدات الشعبية، مكتبة الدراسات الشعبية، مصر، ط1، 2013، ص 67.

ومما يثبت أن الفرد الشعبي لا يعتقد أن هذه الطقوس تعتبر سحرا، أنه لا يقبل مجرد النقاش معه حول حقيقتها، وإعطاء تفسير منطقي لها، لأنها في نظره عادات متوارثة من الأجداد أثبتت فعاليتها، كما أنها تمارس على مرأى وعلم من الجميع ولو كانت سحرا لتمّت ممارستها في الخفاء.

ففي طقس (النُشْرَة) الذي يعتقد أنه يعالج المريض، ويخلصه من أذى الجن الذي لحق به يتم اللجوء إلى كائنات الخفاء (الجن) نفسها للاستعانة بها، وبخدماتها في تحقيق الشفاء، ومن هذا التناقض تظهر لنا المفارقة. ومما يعمق فكرة المفارقة في هذا الطقس الاعتقاد الجازم بأنه طقس علاجي، لكن ما يحدث فيه من أفعال يثبت أنه طقس سحري، فالطعام المحضر (لبن، كسكس بمرق اللحم الخالي من الملح) يعدّ من أطعمة الجنّ المفضلة في المعتقد الشعبي، إضافة إلى أن هذا الطعام يحضر في الليل أي بعد غروب الشمس وهذا الوقت يعتبر وقت تحرر الجن من معتقلها.

ونستطيع أن نفهم أن هذا الطعام يهدف إلى إظهار الخضوع للقوى الخفية المتسببة في المرض، حتى تعفو عن المريض، وبالتالي يتحقق الشفاء.

ويكشف طقس "ضرب الخفيف" عن مفارقة واضحة بين الاعتقاد بأن هذا الطقس هدفه إبطال مفعول العين الشريرة، وبين سياق التعويذة – الجانب القولي من الطقس – الذي يظهر بوضوح أنه طقس سحري غرضه كشف الغيب والتنبؤ به "... اصْدَق يا مولاتي والخير بيك يأتي ..." فالقائل هنا يطلب من الخفيف أن يصدق في إخباره عما سيحدث في المستقبل راجيا منه أن يكون خيرا.

كما يبدو هذا النوع من المفارقة – مفارقة التنافر البسيط – أيضا في طقس "حفرة النفساء" الذي يعتقد أنه طقس يهدف إلى حماية صحة الأم، وصغيرها، بينما تتمُّ حقيقته عن سحر واضح، وذلك نظرا لوجود رموز سحرية فيه مثل رمز العدد "7" وكذلك مخاطبة الحفرة.

كما تتبدى المفارقة بوضوح أيضا في التناقض بين المعتقد والطقس في طقس " تضييف السّعد " إذ تعتقد الممارسة له أنه طقس يساعدها على الزواج بسرعة، وإبعاد شبح العنوسة،

بينما تناقض حقيقة الطقس ذلك الاعتقاد، فالأكل المحضر بلحم العرقوب هو في الحقيقة محاولة للاتصال بعالم الأرواح، والقوى الخفية التي ستساعد المرأة في جلب زوج المستقبل بسرعة والكشف لها عن حقيقته في أحلامها – وهذا الاتصال بعالم الأرواح يعدّ سحرا – كما أن "للقرداش" رمزية سحرية باعتباره من أدوات النسيج، وقد سبق الإشارة إلى هذه الرمزية.

ونحن بلا شك إزاء مفارقة واضحة شكلها التناقض بين معتقد الأم، أو المرأة المشرفة على عملية "الربط" القاضي بأن هذه الممارسة هدفها حماية عذرية البنت، وبين الطقس الذي تشير رموزه إلى عملية سحرية لا غبار عليها. فيها من ملامح السحر الاتصالي الذي يظهر في أخذ كمية من بول البنت ودفنها في محاولة لإغلاق رمزي لغشاء البكارة، كما فيها من ملامح السحر التشابهي سواء في سيلان الدم من فخذ البنت، أو في استعمال المنسج الذي يرمز إلى الرجل، كما أن عملية النسيج في حد ذاتها تعتبر صندوقا لكل القوى السحرية في المتخيل الشعبي، والسحري[1].

ومن المفارقات أيضا التي استطعنا الوقوف عليها بين المعتقد، والطقس اعتقاد المرأة بأن "الشنشانة" أو الخبزة المالحة مجرد طقس متوارث عن الأجداد يساعدها في التنبؤ بمكان زوج المستقبل، بينما الرموز التي يشبّع بها هذا الطقس تدلّ على أنه طقس سحري خالص، فالعدد "7" والعدد "3" كثيرا ما يستعملان في الطقوس السحرية، بل لا يكاد يخلو طقس سحري من تواجد أحدهما أو كليهما، وكذلك الملح له رمزية سحرية سبقت الإشارة إليها، إضافة إلى الغربال ذو الشكل الدائري، فالدائرة ترمز إلى الأنثى من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الدائرة ترمز إلى حلقات السحرة كما ترمز إلى الخصب[2].

ويتولد هذا النوع من المفارقة بين المعتقد، والطقس في الطقوس السحرية الخاصة بالتنبؤ بالمستقبل، أو الغيب. والتي يلجأ إليها الناس عادة نشدانا للطمأنينة، وطردا للقلق الذي يسببه

[1]– ينظر: عبد الرزاق القلسي، الطب الشعبي في تونس وعلاقته بجسد المرأة، مجلة الثقافية الشعبية، ع34، صيف 2016، ص 125.

[2]– ينظر: فيليب سيرنج، الرموز في الفن –الأديان– الحياة، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق للنشر، سورية، ط1، 1992، ص 480.

لهم انقطاع أخبار قريب غائب، أو عدم معرفة مصير مريض، أو تأخر زواج، أو أشياء من هذا القبيل، وتدخل هذه الطقوس كما سبق الذكر في باب العرافة، والتنجيم، ويختص بها رجال أو نساء يدّعون القدرة على استطلاع الغيب وكشف الأسرار.

فالفرد في المجتمع الشعبي إذن: يعتقد أن الإقبال على هذه الممارسة ليس إلاّ من قبيل طرد القلق والاطمئنان. وأن الشخص الذي يقوم بالطقس هو شخص اختصه الله بهبة ربانية وعمله لا يعدو في نظرهم، ونظر العرّاف ذاته مجرد قراءة وتأويل بعض الرموز (التي تبدو داخل وسائل عمله)، بينما هذه الطقوس في حقيقة الأمر تدخل في باب العرافة والتنجيم، والعرافة كلمة تطلق على الاشتغال بالسحر بواسطة الرجم بالغيب سواء أكان الممارس رجلا أو امرأة[1].

وهذا التناقض بين المعتقد والطقس يولد لنا هذه المفارقة.

ب- المفارقة اللفظية: وهي شكل من أشكال القول يكون فيه المعنى الظاهر مخالفا ومناقضا للمعنى الخفي[2].

كما تتحقق المفارقة اللفظية حينما تجتمع عناصر (أو عنصرين) متنافرة الدلالة، والتي يثير اجتماعها تباينا لافتا.

وتظهر المفارقة اللفظية بشكل بارز في التعويذات السحرية إذ قلما يخلو طقس سحري من تعويذة ما، وذلك أن للكلام الموزون قيمة سحرية كامنة في إيقاعاته التي تناسب الطقوس السحرية على اختلاف الغرض منها، ولذلك نجده حاضرا بكثرة لدى العديد من الشعوب المتفرقة عبر العالم، والشعوب العربية القديمة كانت تمنح للكلام الموزون قدرات تأثيرية تتجاوز التأثير على الكائن البشري إلى ما سواه من عناصر وقوى الطبيعة الأخرى[3].

---

[1]- ينظر: سامية الساعاتي، المرجع السابق، ص 77.

[2]- ينظر: نوال بن صالح، المرجع السابق، ص 73.

[3]- ينظر: مصطفى واعراب، المرجع السابق، ص 155.

وهذا ما نلاحظه في كافة التعويذات تقريبا إذ تخاطب عناصر الطبيعة الجامدة كالملح، والحفرة، والخفيف..الخ.

ويعتقد أن هذه الكلمات المسجوعة ذات النغم الموسيقي تؤثر فيها كما تؤثر في النفس البشرية فتجعلها تستجيب.

وفي محاولتنا للوقوف على المفارقة اللفظية في التعويذات المدروسة لاحظنا أن المفارقة تظهر في كل النماذج المدروسة تقريبا في الجمع بين متنافرين أولهما الصيغ، والكلمات ذات المرجع الديني الإسلامي، وثانيهما الصيغ، والكلمات التي تشير إلى جذر عقائدي سحري.

وتظهر المفارقة في تعويذة طقس الربط من خلال الجمع بين متنافرين أولهما الاستعانة بقوى خفية (الجن) في قول الفتاة: "نا حيط وولد المرا خيط" وهي عبارة توحي بوضوح بأن هذا الطقس طقس سحري، وثانيهما ذكر اسم الله واسم الرسول صلى الله عليه وسلم "بإذن الله وبإذن الرسول وبإذن سيدنا محمد المشكور" مما يعطي للطقس صبغة دينية تغطي على حقيقته.

ومن الواضح أن المفارقة تتحقق من هذا الاقتران اللافت بين هذين المستويين المتباعدين والمتناقضين في المرجع والدلالة.

ويزداد هذا النوع من المفارقة وضوحا حين يعمد الممارس للطقس السحري إلى تزويد تعويذاته برموز دينية مثل السيدة فاطمة –رضي الله عنها– أو اقتباسات من الأحاديث النبوية الشريفة، يدمجها في التعويذة بشكل لا يخل بالوزن الذي يحدثه السجع، في مقابل بعض العبارات والكلمات التي تشير بوضوح إلى حقيقة الطقس السحرية، ومثال ذلك مخاطبة "الكركابة" للنفس اللعينة " يا نفس يا لعينة يا خلاّية الحجور يا عمّارة القبور، قالت كون ميش خايفة الله والرسول الرجال نديرها في القبور والجمال نديرها في القدور " نلاحظ اقتباسا من الحديث الشريف الذي رواه جابر عن الرسول صلى الله عليه وسلم: "العين تدخل الرجل القبر، وتدخل الجمل القدر"[1].

[1]– الألباني: محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1408هـ/1988م، مج1، ص 761 (حديث رقم 4144).

والهدف من هذا الاقتباس إضفاء الصبغة الدينية على الطقس – التكركيب – في حين تحمل التعويذة عبارات،و كلمات تتنافر مع ذلك الاقتباس من الحديث الشريف مثل: "لا تأكلي لها عظم، ولا تشربي لها دم" فالمعروف في المجتمع الشعبي أن الجن هي التي تدق عظم الإنسان وتشرب دمه إذا مسته بأذى.

إذن فهذا التنافر بين العبارتين الأولى التي تحمل مرجعا دينيا خالصا والثانية التي تشير بوضوح إلى مخاطبة الجن يشكل لنا مفارقة، ووظيفة المفارقة في هذا المقام التغطية على حقيقة الطقس السحرية، وإعطائه صبغة دينية حتى يحظى بالقبول التام في المجتمع الشعبي.

وتبين التعويذة الخاصة "بضرب الخفيف" مفارقة لفظية أخرى تبرز من خلال الجمع بين متنافرين كذلك، أولهما هو استحضار رمز ديني كثيرا ما تستحضره النساء لإضفاء نوع من القبول على الممارسة التي يقمن بها، وهو السيدة فاطمة "حطاتك لالة فاطمة الصباح على جمال بوها جاو لعشية " في إشارة إلى أن السيدة فاطمة استعملت ضرب الخفيف، وثانيهما مخاطبة الخفيف، وهو أحد عناصر الطبيعة الجامدة "اصدق كما صدق المخ في الركبة ... الناس تقلك الخفيف وأنا نقلك الفارس النظيف" ومخاطبة الخفيف تشير إلى النظرية الإحيائية التي تعتقد أن لكل شيء روح وهذا التنافر بين المرجع الديني، ومخاطبة الخفيف يكشف عن مدى التناقض بين عبارات التعويذة.

وتتولد مفارقات هذا الشكل الذي يجمع بين المتنافرات من خلال اللغة، التي تزاوج بين عبارات ذات مرجعية دينية، وأخرى بعيدة عن المجال الديني، وتشير بوضوح إلى جذور سحرية، على نحو ما يظهر في تعويذة طقس "النُشْرة"، وكذلك تعويذة طقس" حفرة النّفساء".

ثم إن المفارقة الكبيرة ليست فقط مع الدين، بل هي مع العقل لأن العلاقة بين السبب، والنتيجة في كل هذه الممارسات علاقة غير مباشرة، وهذا ما يجعل المفارقة تدخل في جانب اللامعقول.

2-2- اللامعقول:

إن ثمة حقيقة ترتقي في مستوى وضوحها إلى حد البداهة، وهي أن كل تصور أو حالة أو موقف ينتهي إليه الإنسان ولم يكن نتيجة لمقدمات استدلالية وخالف إحدى مبادئ العقل الثلاثة التي حددها أرسطو وهي:

- مبدأ الماهية (الهوية): ويقضي أن يكون الشيء مطابقا لذاته.
- مبدأ عدم التناقض: مضمونه أن النقيضين لا يجتمعان
- المبدأ الثالث المرفوع: مضمونه أن لا وجود لحد وسط بين نقيضين، فالشيء إما أن يكون أو لا يكون. يفلت من قبضة المنطق ويخرج من دائرة المعقول إلى اللامعقول.

ولقد رأينا كيف أن الطقوس السابقة تترجم – في أغلبها – القوى الخارجة عن سيطرة الإنسان إلى موجودات رمزية يمكن التعامل معها من خلال تأدية الطقوس، فالطقوس لغة يتحدث بها الإنسان عن أشياء يحس أنها حقيقية وهامّة ومن أبرز هذه الأشياء في المعتقد الشعبي العين، ويتكون الاعتقاد في العين عموما من فكرتين اثنتين: الأولى تتجلى في طريقة النظر التي تدل أن العين حاملة للمتمنيات العدائية، والثانية تكمن في تلك الطاقة المؤذية الفوق طبيعية التي تصدر عن العين دون إرادة صاحبها[1]، وهذه الطاقة فوق الطبيعية للعين تناقض العقل، إذ ليس هناك علاقة سببية مباشرة بين نظرة العين، وبين حدوث المرض، أو زوال النعمة أو تأخر زواج، أو غير ذلك، كما أنه لا يوجد مبرر عقلي يجعل عين شخص تتمتع بطاقة مؤذية فوق طبيعية، بينما لا تتمتع عين شخص آخر بتلك الطاقة، وهذا التناقض مع العقل يدخل الاعتقاد بالعين في مجال اللامعقول، وقد ابتدع المخيال الشعبي طقوسا خاصة للتخلص من العين الشريرة يظهر فيها اللامعقول جليا من بينها "التكركيب" وحتى "ضرب الخفيف" إذ العلاقة بين السبب والنتيجة في كل من هذين الطقسين علاقة غير مباشرة، فما علاقة مريض الحمى مثلا "بالتكركيب" حتى تزول بمجرد ممارسة هذا

[1]– ينظر: عبد الغني منديب، الدين والمجتمع (دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب)، أفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 2006، ص 21.

الطقس عليه؟ وكيف يجوز عقلا أن يكون دليل وجود المرض (العين) هو تلك الزيادة التي تلاحظ في طول عصابة الرأس؟ ثم إن عصابة الرأس قد صنعت بطول يقارب الثلاثة أذرع، ولا يمكن أن يزيد مرة ويعود لطوله الطبيعي مرة أخرى فهذا تناقض مع العقل، وأيضا ما علاقة كثرة المشاكل والمصائب في بيت ما –والتي غالبا ما يعتقد أن سببها العين– بالخفيف حتى تزول تلك المشاكل بمجرد ضربه في البيت.

وإلى جانب الاعتقاد بالعين في الثقافة الشعبية هناك اعتقاد كبير بالجن، وبأنها سبب الكثير من الأمراض، لذلك لا تخلو الثقافة الشعبية من طقوس يقوم بها الفرد محاولا من خلالها إرضاء الجن حتى تكف أذاها عنه، أو عن قريب له، ومثال ذلك طقس " النُشْرة " الذي يقدم فيه للجن نوع من الأطعمة التي تحبها – حسب المعتقد الشعبي – في محاولة للتودد إليها حتى تعفو عن المريض وبذلك يتم شفاؤه، وهذا قمة اللامعقول والتناقض مع العقل إذ ما علاقة ذلك الطعام الذي يوضع في غرفة خالية مع التلفظ بتعويذة معينة بشفاء المريض من مرضه أيا كان؟ ثم إن الجن كائنات خفية ولا يمكن أن تكون غير ذلك، ومعاملتها معاملة الكائنات الظاهرة للعيان بتقديم الطعام لها تناقض مع حقيقتها الخفية، وهذا مخالف لمبادئ العقل المذكورة آنفا، وهو سبب آخر يجعلنا نصنف هذا الطقس في مجال اللامعقول.

والمتأمل في الطقس الذي تمارسه المرأة المرضعة إذا عانت من ألم في ثديها، سيلاحظ أنه لا يوجد علاقة سببية تربط بين نزع الشعرة من بين كتلتي الرماد، وبين شفاء المرأة من الألم، مما يجعل هذا الطقس أيضا يصنف في مجال اللامعقول.

ولئن كانت هذه الصور الصارخة من الممارسات السحرية جاءت نتيجة لسعي الإنسان وراء تحقيق الشفاء، فإن هناك صورا أخرى جاءت نتيجة للشك، والقلق والخوف من المستقبل. تمثلها طقوس التنبؤ بالغيب أو المستقبل، إما بقراءة الكمون، أو الخفيف أو التاقزة وغيرهم، وكلها طقوس تنتمي إلى اللامعقول دون أدنى شك، إذ ما علاقة الأشكال التي تظهر عند ضرب الخفيف مثلا بقدوم شخص ما، أو قرب موت آخر، أو تحقيق رغبة معينة؟

فتلك الأشكال في حقيقة الأمر نتجت عن سرعة تجمد الخفيف عند ملامسته للماء البارد، وتفسيرها بغير ذلك يناقض العقل.

ومن الأمور التي تشكل هاجسا للمرأة في الثقافة الشعبية موضوع الزواج، لذلك كثيرا ما تلجأ الفتاة التي تأخر زواجها، أو حتى التي لم يتأخر إلى طقوس تهدف من خلالها إلى معرفة زوج المستقبل، وهي طقوس لامنطقية بالطبع فكل من "الشنشانة" أو الخبزة المالحة وما يرافقها من أفعال طقوسية، وكذلك الكسكس المحضر بلحم العرقوب، وما يرافقه من ممارسات في طقس " تضييف (استضافة) السعد " تظهر نتيجتهما في حلم الفتاة الذي تراه ليلة قيامها بالطقس، ليحدد الحلم مصيرها في الزواج – حسب اعتقاد الفتاة – والحلم في حقيقته يتنكر للمنطق، ويلحق بقوانين تداعي الأفكار إضافة أنه يكشف اللاوعي في الشخصية[1]، وهذا ما يجعل كلاّ من هذين الطقسين يخرجان من دائرة المعقول إلى دائرة اللامعقول، إضافة إلى أن نتيجة كل منهما لم تكن مستندة إلى مقدمة استدلالية.

ويتعلق بالزواج طقس " الربط " الذي يهدف إلى حماية عذرية البنت، وهو على أنواعه سابقة الذكر يصنف ضمن اللامعقول، إذ لا علاقة ضرورية تربط بين أخذ كمية من الدم من فخذ البنت، وخلطها مع حبات الحمص لتبتلعها البنت بعد ذلك، أو بين تخطيها للمنسج سبع مرات، وغلقه بعد ذلك، وبين استحالة فض غشاء بكارتها إذا مارست الجنس مع أي رجل.

ومن هنا نصل إلى أن اللامعقول تصوير للإنسان القلق الضائع الذي لا يعرف مصيره، والذي كثيرا ما يجعله الشك والخوف عاجزا، فيحاول دائما تخليص نفسه من عجزها عن طريق أي شيء من شأنه أن يساعده على ذلك، حتى وإن كان طقوسا سحرية لا تخضع للعقل والمنطق.

[1]– ينظر: علي زيعور، المرجع السابق، ص 29.

الفصل الثاني

المفارقة واللامعقول في الطقوس الدينية

أولا: مفهوم الدين ومكوناته

1- مفهوم الدين

2- مكونات الدين

ثانيا: أنواع الطقوس الدينية

ثالثا: المفارقة واللامعقول في الطقوس الدينية

1- الحضرة الصوفية

2- المفارقة واللامعقول في المعجزات والكرامات

أولا: مفهـوم الدين ومكوناته

صحب الدين الإنسانية منذ نشأتها الأولى، ولازمها عبر كافة عصورها التاريخية، فالإنسان باعتباره كائنا اجتماعيا في حاجة ماسة إلى دين أو تدين يشد أزره. فبعدما فشل في كشف حقيقة الكون والسيطرة على الطبيعة آمن بوجود قوى خارقة (فوق طبيعية) تتحكم في هذا الكون تلزمه بالتقرب منها واسترضائها، ويرى بعض العلماء والباحثين أن النظام الطوطمي هو أول الديانات الإنسانية ظهورا، ويخلص بعضهم الآخر إلى أن نظام عبادة الأجداد هو الأسبق، كما يرى سير جيمس فريزر أن المجتمعات الإنسانية مرت بمراحل ثلاث، هي: السحر والدين، والعلم.[1]

1- مفهوم الدين:

1-1- الدين لغة:

وردت معان شتى للدين في المعاجم اللغوية العربية منها:" الديّان " وتعني الله عزّ وجل، والقهار وقيل الحاكم والقاضي. والدين أيضا الجزاء والمكافأة والحساب لقوله تعالى: "**مالك يوم الدين**"، وقيل معناه مالك يوم الجزاء. والدين كذلك الحال والسلطان والورع والمعصية".[2] وتعد" الملّة والتوحيد والتدبير، والعادة والعبادة، وجميع ما يتعبد الله عزّ وجل به دينا".[3]

نلاحظ رغم تعدد هذه الاشتقاقات ،إلا أنها تكاد تتحد في جوهر المعنى القاضي بمعنى اللزوم والانقياد، فالديانة تعني الطاعة والخضوع والولاء والالتزام بذلك كله.

1-2- الدين اصطلاحا:

إنّ صياغة تعريف موحد للدين مطلب بعيد المنال حسب رأي بعض الباحثين والمفكرين ولهذا سنحاول الوقوف عند أهم التعريفات المتداولة في دراسة هذا الحقل الديني. والتي حاولت الإلمام بهذه الظاهرة الدينية، وتجدر الإشارة إلى أن لفظة دين (Religion) في اللغة

---

[1]- ينظر: حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الدين والمجتمع، مركز الإسكندرية للكتاب، (د.ط)، 2010، ص ص: 24،26.

[2]- ابن منظور: لسان العرب (مادة دين)، مج 13، دار صادر، بيروت، لبنان، ص ص: 67،69.

[3]- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مجد الدين الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مج1، 2008 ص ص 32،48.

الأوربية اشتقت من الفعل اللاتيني (Religare). بمعنى ربط، ويرى "جيفونز Gevons" و"روجيه باستيد Bastide" بأن الكلمة ترجع أصلا إلى الفعل اللاتيني (Religere) بمعنى العبادة المصحوبة بالرهبنة والخشية، والاحترام.[1]

يرى "هربرت سبنسر" بأن الدين هو: "الاعتقاد بالحضور الفائق لشيء غامض وعصي على الفهم"[2] ويذهب "ماكس موللر" نفس المذهب في تعريفه للدين: "إنّ الدين هو كدح من أجل تصور مالا يمكن تصوره، وقول مالا يمكن التعبير عنه إنه توق إلى اللانهائي".[3]

والملاحظ في هذين التعريفين أنهما قائمان على فكرة فوق الطبيعي supernatural، وهي الإشارة إلى كل ما يتجاوز حدود المعارف الإنسانية ويقع في نطاق السر المجهول.[4]

أما "م. رافيل" فيذهب مذهبا آخر حيث نجد أن الدين بالنسبة إليه:" هو اشتراط الحياة الإنسانية بإحساس بالاتصال بين العقل الإنساني وعقل خفي يتحكم بالكون، وما ينجم عن ذلك من شعور بالغبطة".[5]

وينحو "ف.شلرماخرSchleirmacher.F" نفس المنحى قائلا:" إن الدين هو الشعور باللانهائي واختبار له. وما نعنيه باللانهائي هنا هو وحدة وتكامل العالم المدرك. وهذه الوحدة لا تواجه الحواس كموضوع وإنما تنبي عن نفسها للمشاعر الداخلية. وعندما تنتقل هذه المشاعر إلى حيز التأملات فإنها تخلق في الذهن فكرة الله. وإنّ الخيال الفردي هو الذي يسير بفكرة الله إما نحو المفارقة والتوحيد، أو نحو نوع غير مشخص للألوهة يتسم بوحدة الوجود".[6]

---

[1]– ينظر: حسين عبد الحميد أحمد رشوان: المرجع السابق، ص 6–7.

[2]– فراس السواح، المرجع السابق، ص 23.

[3]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5]– المرجع السابق، ص: 24.

[6]– المرجع نفسه، ص: 24.

هذه التعريفات تقوم على أساس فكرة الألوهية التي استبعدت بعض الأديان من زمرتها كتلك التي تعتقد بالكائنات الروحية المختلفة الأنواع. كأرواح الموتى، والأرواح الحالة في مظاهر الطبيعة المختلفة، ولهذا يرى ادوارد تايلور: "بأن التعريف الأشمل يستدعي استبدال مفهوم الآلهة بمفهوم "الكائنات الروحية" الأكثر عمومية... والمقصود بالكائنات الروحية عند تايلور هو كل كائنات واعية تمتلك قوى، وخصائص تفوق ما لدى البشر.و يدخل في عداد هذه الكائنات كل أنواع الأرواح والعفاريت، والجن... والآلهة، وبما أن هذه الكائنات ليست قوى غفلة عمياء، بل تتمتع بالوعي والإرادة، فإن العلاقة معها تتميز بمحاولة التأثير عليها واستمالتها للوقوف إلى جانب الإنسان، سواء بالكلمات المناسبة أو بالذبائح والتقدمات وما إليها. [1]

ويحاول جيمس فريزر أن يكمل تعريف تايلور حيث يقول: إننا نفهم الدين على أنه عملية استرضاء، وطلب عون قوى أعلى من الإنسان، يعتقد أنها تتحكم بالطبيعة والحياة الإنسانية ولكي يصح الدين يشترط عنصرين أساسيين أحدهما نظري يتمثل في الاعتقاد بقوى عليا وثانيها تطبيقي عملي يتجلى في محاولات الاسترضاء لهذه القوى.[2]

وينقد "إميل دوركهايم" التعريف السابق كونه حصر الدين في الممارسات التي تتضمن توسلا لكائنات ما ورائية تسمو على الإنسان. وهذا ما لا ينطبق على الأديان التي لا تدور معتقداتها حول أرواح أو آلهة من أي نوع. فالبوذية مثلا لا تهتم إطلاقا بمن خلق العالم ولا كيف، وعليه البوذي يعتمد على قواه البدنية وحدها لتخليص روحه من سلسلة التقمصات في عالم لا يحمل إلا الألم والشقاء.[3] لذلك فصل دوركهايم في تعريفه للدين بين عالمين مختلفين هما (عالم المقدس وعالم المدنس) فقدم بذلك رؤية جديدة لتعريف الدين حين قال: "الدين هو نظام منسق من المعتقدات التي تدور حول موضوعات مقدسة يجرى عزلها عن الوسط

[1]– ينظر: المرجع السابق، ص 24.

[2]– ينظر: جيمس فريزر، الغصن الذهبي دراسة في السحر، ص ص 220،218.

[3]- ينظر: فراس السواح، المرجع السابق، ص25–26.

الدنيوي، وتحاط بشتى أنواع التحريم. وهذه المعتقدات والممارسات تجمع كل المؤمنين والعاملين بها في جماعة معزولة واحدة تدعى كنيسة".[1]

يشير تعريف "دوركهايم" إلى موضوعات مقدسة يدور حولها نظام منسق من المعتقدات وهذه الموضوعات لا تقتصر على المجردات والغيبيات فقط، فمفهوم المقدس قد يشمل على الموضوعات المعنوية والمادية في آن واحد أو معا.[2]

وينهج: ميرسيا إلياد" نهج "دوركهايم" بالتمايز بين عالمين: المقدسات وعالم الدنيويات من خلال قوله: "يتجلى القدسي دائما كحقيقة من صعيد آخر غير صعيد الحقائق الطبيعية.. ويعلم الإنسان بالقدسي لأنه يتجلى، ويظهر نفسه شيئا مختلفا كل الاختلاف عن الدنيوي. .

ويمكننا القول إن تاريخ الأديان من أكثرها بدائية لأكثرها ارتقاء، عبارة عن تراكم من تجليات الحقائق القدسية؛ ليس ثمة انقطاع لاستمرار الظهورات الإلهية، بدءا من تجلي القدسية في شيء ما كحجر أو شجر، وانتهاء بالتجلي الأعلى الذي يمثل لدى المسيحي يتجلى الله في يسوع المسيح، إنه الفعل الخفي نفسه: تجلي شيئا مختلفا تماما، أي حقيقة لا تنتسب إلى عالمنا، في أشياء تشكل جزاء لا يتجزأ من عالمنا الطبيعي الدنيوي".[3]

إن أغلب هذه التعريفات والمفاهيم انطلقت من النتائج سواء التي انطلقت من الآلهة أو اللانهائي، أو من الكائنات الروحية، أو فوق الطبيعية أو العقل الخفي الذي يتحكم في الكون، أو القوى الأعلى من الإنسان، ولعل المفهوم الذي يكاد يجمع هذه المفاهيم كلها هو المفهوم القائل بالتمايز بين العالمين القدسي أو المقدس الصعب الإدراك، والعالم الدنيوي المدنس المدرك أو القابل للإدراك.[4] ويصل فراس السواح إلى تعريف مفاده: أن الدين هو

---

[1]– المرجع السابق، ص27.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 26.

[3]– المرجع نفسه، ص27–28.

[4]– ينظر: خزعل الماجدي، علم الاديان، مؤسسة مؤمن بلا حدود للدراسات والابحاث، المملكة المغربية–الرباط، ط1 2016، ص 30.

التعبير الجمعي عن الخبرة الدينية الفردية، وقد تمّ ترشيدها في قوالب فكرية، وطقسية، وأدبية ثابتة[1].

ونخلص إلى أن الوصول إلى تعريف شامل وموحد لمفهوم الدين غاية يصعب تحقيقه إلا أن جل التعريفات السابقة تكاد تجمع على أن الدين هو مجموعة من المعتقدات، والممارسات التي تربط الإنسان بشيء، أو كائن مقدس يملك القدرة على التحكم في الكون وضبطه، وتسييره.

2- مكونات الدين:

للدين بنية موحدة تقوم على عدد من العناصر، أو المكونات الأساسية المترابطة والمتفاعلة فيما بينها، ولا يصح الدين إلا بتواجدها وتناظرها مكونات أخرى ثانوية، لا يشكل وجودها دورا حاسما في تكوين الدين وقد نجدها في بنى أخرى غير دينية.[2]

2-1- المكونات الأساسية:

أ- **المعتقد:** هو أول أشكال التعبيرات الجمعية عن الخبرة الدينية الفردية التي خرجت من حيز الانفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني. فالمعتقد هو الذي يعمل على ضبط وتقنين أحوالها. فبعد تلك المواجهة الانفعالية مع القدسي في أعماق النفس، يتدخل عقل الإنسان من أجل صياغة مفاهيم من شأنها إسقاط التجربة الداخلية على العالم الخارجي، وهنا يتم اختيار موضوعات معينة أو خلق شخصيات وقوى معنوية تستقطب الإحساس بالمقدس، وبذلك يتم تكوين الصيغ الأولية للمعتقدات.

ونفهم من ذلك أن المعتقد شأن جمعي، تصوغه عقول الجماعة التي تعمل على رسم الصورة الذهنية لعالم الإنسان، وغالبا ما تصاغ هذه الأفكار في شكل صلوات وتراتيل.[3]

---

[1]- ينظر: فراس السواح: المرجع السابق، ص 43.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 46.

[3]- المرجع نفسه، ص 47-48.

ب- الطقس: "هو الجانب العملي من الدين، الشعيرة".[1] وهو "ممارسات حركية وأعمال يعتقد أنها ترضي الآلهة، وعدم أدائها يغضبها، وهي فعاليات تأخذ أشكالا مختلفة، كنحر الأضاحي والرقص والتراتيل وإشعال النار والصلوات .....الخ". [2]

ج- الأسطورة: يعرفها مرسيا إلياد، بأنّها: حكاية "تاريخ مقدس، تروي حدثا جرى في الزمن البدئي، بعبارة أخرى تبدي لنا الأسطورة كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل مآثر اجترعتها الكائنات العليا، ولا فرق بأن تكون الحقيقة كلية، كالكون مثلا أو جزئية. كأن تكون مسلكا سلكه الإنسان أو مؤسسة، إذ هي دائما سر لحكاية خلق .

أما أشخاص الأساطير فهي كائنات عليا نعرفها بما قد صنعوه في الأزمنة القوية أزمنة البدايات، فالأساطير تكتشف عن هذه الفعالية المبدعة لهذه الكائنات العليا".[3]

ويخلص فراس السواح إلى تعريف مضبوط للأسطورة مفاده أن الأسطورة هي:" حكاية مقدسة مؤيدة بسلطان ذاتي".[4]

- **المكونات الأساسية وعلاقتها ببعضها البعض:**

من المؤكد أن التفاعل الحي بين مكونات الدين الرئيسية، تجعل الدين متجددا ونابضا بالحيوية، وقابلا للانتقال من جيل إلى جيل، ولهذا وجب علينا دراسة العلاقة الموجودة بين هذه العناصر وتحديد مدى تفاعلها.

ومن المعلوم أن الطقس نتاج المعتقد؛ فهو الحالة الفعلية المترجمة لحالته الذهنية التي يعمل الطقس على خدمتها لكنه ما يلبث حتى يعود بالتأثير على المعتقد فتزيد من قوته وتماسكه بفعل طابعه الجمعي الذي يجدد حماس الأفراد، ويعطيهم الإحساس بقوة إيمانهم ومعتقدهم، والمعتقد بدوره يبرر ممارسة الطقس، وهذا الأخير هو كذلك تطبيق عملي للأسطورة حيث يحيِّنها، ويبعثها من جديد في صورتها التي كانت عليها أول مرة، وبذلك تزيده غنى وتعقيدا

---

[1]- خزعل الماجدي، علم الأديان، ص32.

[2]- أحمد زغب، مبادئ الأنتروبولوجيا، مطبعة سخرية، الوادي، ط1، 2012، ص47.

[3]- مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، تر: نهاد خياطة، دار كنعان للدراسة والنشر، دمشق، 1994، ص 10.

[4]- فراس السواح، المرجع السابق، ص 58.

بفعل ما ترسمه الشخصيات من حالات محددة ذات قوى وخصائص وسيرة حياة، كما أن الأسطورة تساهم في الحفاظ على المعتقد وتجسيده، وتعمل على سهولة تداوله بين الناس بشكل مبسط.[1]

2-2- المكونات الثانوية:

أ- **الأخلاق:** "قواعد وممارسات تنظم سلوك الأفراد بعضهم تجاه بعض وتجاه الجماعة التي يشكلون أعضاءها...، وهي بديل عملي وناجح لأسلوب القوة والإكراه في العلاقات الاجتماعية، وتختلف عنها في أنها ترجع إلى مبادئ للسلوك متفق عليها ومقبولة من قبل الجميع"".[2]

ب- الشرائع: "قواعد تضبط العلاقة بين الإنسان، وأخيه الإنسان، مقررة اجتماعيا تتضمن وسائل إلزام والعقوبة في حال مخالفة القوانين، والالتزام أمام السلطة السياسية، وفي حالة العرف الاجتماعي يكون الالتزام أمام الوعي الجمعي يفرضه شعور الفرد أنه جزء من الجماعة أما التشريعات الدينية فيفرضها الوازع الديني فالمؤمن ينطلق من المعتقد الديني، لا من المجتمع ولا من السلطة".[3]

ثانيا: أنواع الطقوس الدينية

تتنوع الطقوس الدينية حسب نوع الأديان وتكوينها، ولقد قسم العلماء الأديان إلى عدة أقسام وأشكال نذكر منها: الدين الفردي الذي يعني الخبرة الدينية الفردية، وكذلك الدين الجمعي وهو التعبير عن التجربة الخاصة في تجربة عامة، بالإضافة إلى المؤسسة الدينية التي تشرف وتوجه وتجعل من نفسها السلطة المرجعية.[4]

---

[1]- المرجع نفسه، ص59.

[2]- المرجع السابق، ص 71-72.

[3]- أحمد زغب، مبادئ الأنثروبولوجيا، ص74.

[4]- ينظر: فراس السواح، المرجع السابق، ص ص 30،38،40.

كما أن هناك أشكال أخرى جديرة بالذكر وهي: الدين الرسمي المعترف به اجتماعيا (الإسلام عندنا)[1] والذي يتضمن عدة طقوس (الشعائر) كالصلاة، والحج والصوم والجنائز والأدعية والتراتيل. وفي هذا الصدد يقول عالم الاجتماع حليم بركات: " يمثل الدين الرسمي بالتشديد على النصوص والشريعة والتوحيد والسنة والوحي ومساواة المؤمنين والله وغياب الوسيط بين المؤمنين، ويمارس على الأغلب في المدن ومن قبل المثقفين ورجال الدين الرسميين"[2]

ويقابل الدين الرسمي الدين الشعبي الذي يتضمن شبكة المعتقدات والتقاليد المرتبطة بالصلحاء والزوايا وما يتبعها من طقوس كطقوس الزيارة، والتبرك والتمجيد والتقديس وكذلك ما نجده في الحضرة الصوفية. وفي نفس السياق يقول حليم بركات: "يمثل الدين الشعبي على اختبار الوحي والتدرج في علاقة المؤمن بالله وذلك بالتقيد للأولياء والمزارات وعلى التأويل، والرموز، والصور، والأشخاص أكثر من الكلمات والقواعد المجردة، ويمارس في الأغلب في القرى والأحياء الفقيرة ... فعندما تتسع المسافة بين المتعبد والمعبود، ويصبح الله أكثر تجريدا وأقل تجليا، ساعتها لا تكتفي الطبقات الشعبية الفقيرة العاجزة بالتعاليم المجردة، بل تحتاج إلى وسيط يتجسد في شخص صالح يتحسس مآسيهم ويساعدهم على حل مشاكلهم، وينصرهم ضد ظلمهم ويتكلم لغتهم"[3]، وهذه الطقوس قد تعود إلى الدين أو إلى ديانات قديمة انهارت وبقيت المعتقدات تمثل رواسب ثقافية، ويؤكد إدموند دوتي (Edmond Doutte) هذا الرأي الأخير بقوله: "فالإسلام طبع وكيّف المعتقدات الشعبية البربرية بطابعه الخاص، وقام بتعزيزها ونشرها وأسلمتها"[4] فالباحثين الأجانب يؤكدون على استمرار البقايا الوثنية البربرية التي لم تكتمل عملية الأسلمة لها.

---

[1]– أحمد زغب، مبادئ الأنتروبولوجيا، ص 33.

[2]– بركات حليم، المجتمع العربي بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت–لبنان، ط1، 1981، ص 225

[3]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[4]–EdmandDoutte notes Sur llislammaghrebin ،les marabouts exstrait de la revue de l'ihistoir des religions ernest le roux editeue 28, Rue bong,p 28

ثالثا: المفارقة واللامعقول في الطقوس الدينية

يتضمن الدين في مظاهره الثقافية، والشعبية جوانب عقلية تتوافق مع المبادئ الأساسية للمنطق، لكنه لا يخلو من جوانب انفعالية لا يمكن إخضاعها لتلك المبادئ والمقاييس، وقد تتعارض معها، أو تناقضها لاسيما تلك المعتقدات، والممارسات الطقسية الدينية التي تستعرضها الحضرة الصوفية، أو تلك المتعلقة بزيارة الأولياء والصالحين، وما ينتج حولها من كرامات، تستدعي التمحيص والدراسة، لهذا اتخذنا من طقس الحضرة الصوفية (العمارية) نموذجا للدراسة.

1- الحضرة الصوفية: عادة من العادات التي ارتبطت بالطرق الصوفية، وبحلقات الذكر التي يقوم عليها شيوخ الطرق ومقاديمهم، الذين عرفوا بالتقوى، والصلاح والورع، ثم شملت الأفراح والمآتم وزيارة القبور، كما ارتبطت ارتباطا كبيرا بزيارة الأضرحة والأولياء والصالحين قصد التبرك والتوسل، وطلب قضاء الحاجة خصوصا الاستشفاء. وفي هذا الصدد قال القائد الأحمر * متوسلا الأولياء:

- بعد الصلاة يا حضرة ننده سادتي أهل النغرة.
- طالب منهم يأتوني نصره غيثوني راني عطشان .
- عطف لي اسيادي أهل النية أهل السر والبركة قوية.
- من رأس الوادي البوحنية محمد بن يحيى السلطان[1].

أ- الحضرة الصوفية (العمارية):

من الطقوس التي ارتبطت بالحضرة الصوفية، تنسب إلى صاحبها الولي الصالح عمار بوسنة* دفين مدنية قالمة، والذي تشد إليه الرحال كل سنة، في مواكب احتفالية تحضره كل الفرق العمارية والأتباع من مختلف أنحاء الوطن، فينشدون المدائح الدينية، والأغاني

[1]- ينظر: عبد الحميد إبراهيم قادري، واد ريغ تاريخ وأمجاد جزائرية، دار الأوطان، الجزائر، ط2، 2014، ص ص 167،169.

*- القائد الأحمر: قائد من قواد الذين عينتهم فرنسا بالمقارين .

الصوفية، ويرقصون على إيقاع البنادير وأنغام المزامير ويستعرضون بعض الطقوس المثيرة للدهشة والتعجب نذكر منها:

- طعن الأجسام، والبطون بالسكاكين والأمشاط، أكل النار والزجاج، ولعق المناجل المجمرة.[1]
- بلع المسامير، والحبال، ولفافات من القماش. ثم بقر البطن وإخراجها من أسفله.
- استحضار الأشياء من الفضاء كالحلوى والأطفال الرضع .
- تحويل التراب إلى حجارة أو مسك (بخور).
- استعمال المشط والوقوف فوق أسنانه الحادة.[2]

- **المفارقة في الحضرة الصوفية:**

إن الدارس لهذه الطقوس يلاحظ جملة من المفارقات منها:

هذه الطقوس مرجعيتها دينية، وكذلك تعاويذها ودعاؤها، فبعد ضرب المشط يصيح (الشاويش): صلوا على النبي محمد، ويرد الجميع: صلى الله عليه وسلم. وهذا ما يحدث مفارقة الجمع بين المقدس، والمدنس.

تلك الطقوس هي خوارق تستهدف التنفيس الروحي بتعذيب الجسد والنفس، وإيذائه وفي ذلك مفارقة، فالتنفيس الروحي يكون بإسعاد الجسد لا بتعذيبه.

إن طقس المشط هذا سلوك لا يقبله العقل، فالمشط أسنانه حادة ومؤذية حتما، والجسم في حالته الطبيعية، أو المعتادة لا يحتمل وخزها، ولا طاقة له على صدها لكن ما يحدث أمام أعين الجميع شيء مغاير للطبيعة فصاحبها لم يتأذى بالفعل. كما نلاحظ أن معظم هذه الطقوس مفارقتها مفارقة موقف فظاهرها يخالف باطنها ومن ثمة مخالفة لكل توقع .

---

* بوسنة: ولي صالح قيل إنه ازداد بسنة واحدة، نطق بالحق وهو في بطن أمه حين اتهمت ضيفهم بقتل أبيه وأثناء المحاكمة نطق بالحق وهو جنين وقال: أمي هي التي قتلت أبي والسكين موجود في شعرها وبذلك ظهر الحق وزهق الباطل وحين ولادته ولد بسنة واحدة علامة قول الحق.

[1]– لقاء مع السيد: محمد بابا عربي (كنوشة) 60سنة: رئيس الفرقة العمارية بلدية الزاوية العابدية، تقرت، يوم 2019/03/01 على الساعة 18:20 مساء.

[2]- لقاء مع السيد: محمد الأمين بن عثمان 43سنة: عضو ناشط في حضرة سيدي عمار بتبسبست، تقرت، يوم 2019/03/19 على الساعة 18:00 مساء.

- **اللامعقول في الحضرة الصوفية:**

إن المتأمل في حقيقة هذه الطقوس يلاحظ أن اللامعقول يسيطر عليها فهو سيد الموقف فهي لا تحتكم إلى مرجعية منطقية عقلية، ولإثبات ذلك يجب الوقوف على مواطن اللامعقول فيها بإتباع مبادئ المنطق (التكرار، البرهنة، التجربة)، وإسقاطها على هذه السلوكات.

– التكرار: إن ما يعرض من سلوكات وطقوس كاستحضار الأطفال(الرضع) وقطع طرف اللسان أو جرحه أو المشي فوق المشط ومحاولة التصدي لأسنانه الحادة، كلها ظواهر حكر على مجاذيبها فقط. تعرض دون تكرار من طرفهم وهذا ما ينفي عنها صفة المنطق.

– البرهنة: إن صاحب طقس استحضار الأولاد الرضع لا يستطيع البرهنة على صدق سلوكياته برهنة علمية ذات أدلة محسوسة يوضح فيها كيفية الوصول إلى النتيجة، وعلاقتها المنطقية بسبب حدوثها (الجذب) وحين نسأله يجيب:(اعتقد ولا تنتقد) أو (مسلمين مكتفين) يعني التسليم والتصديق دون البحث عن البرهان والدليل. وهذا ما يوقعنا في دوامة الاعتقاد واللاعتقاد.

– التجربة: الظواهر العقلية خاضعة للتجربة، والتجربة العلمية تتطلب منطقية العلاقة بين السبب والمسبب فنفس الأسباب تؤدي إلى نفس النتيجة، لكن هذه الطقوس قد تتوفر نفس أسبابها عند شخص آخر لكن النتيجة قد لا تكون نفسها فطقس المشط لو جربه إنسان آخر من المؤكد أن يتأذى. وهذا ما يشكل تناقضا يرفضه العقل.

إن التداخل بين المفارقة واللامعقول يظهر جليا، فهما يتقاطعان في مبدأ واحد، وهو التناقض الذي هو أساس بناء المفارقة ومسلك اللامعقول الذي يطغى على هذه الطقوس الدينية الصوفية بحكم طابعها الاعتقادي المبني على الجانب الانفعالي الوجداني للإنسان، ويلعب الخيال والخوارق والشعوذة دورا كبيرا في تجسيدها.

ب– الرمزية في الطقوس الدينية للحضرة الصوفية:

الطقوس الدينية للحضرة الصوفية ممارسات لا يقبلها العقل، لكن عقلنتها محتملة إذا اعتبرناها إشارات ورموز ذات دلالات وإيحاءات نفسية وجدانية، قصد منها المجذوب تحيين

الأسطورة عن طريق التخيل والمحاكاة فطقوس الحضرة العمارية هي مجرد محاكاة لظروف وملابسات تلك المحاكمة التي عقدت ساعة مقتل والده بيد أمه بعدما اتهمت ضيفهم. لكن سيدي عمار نطق بالحقيقة وهو جنين في بطنها، وهذا الأمر بالنسبة للمريد والأتباع حدث مقدس وهو كرامة، ودليل قاطع على ولاية هذا الجنين المستقبلية. لهذا تقام الاحتفالات وتعرض الطقوس تطهيرا وتكفيرا للنفس لما ارتكبته من آثام، وتعبيرا عن مدى حبهم لسيدهم عمار بوسنة الرجل الصادق، لذلك فان طقس المشط يحاكي فيه صاحبه المجذوب قصة المحاكمة وهو يرمز لذاك السفود الذي ضرب به الشيخ الصالح (سعد الله) بطن أم الولي الصالح سيدي عمار مطالبا الجنين بقول الحق وفعلا نطق الجنين واعترف بأن أمه هي الجانية . فغرز المشط تكفير عن ذنب أمه وتكفير لذنوبها، وتعبير عن مدى محبتهم لهذا الرجل الذي يأبى المشط اختراق بطنه تقديسا وإجلالا للجنين الذي كان ببطن أمه. أما لعق المناجل والتهام النار فيرمز لتلك النار التي أضرمت في ساحة المحاكمة، وهي بالنسبة للمجذوب نار مقدسة لا تؤذيه مادام المقدس حاضرا معه ساعة الجذب فهو يعتقد بحمايته .

أما بقر البطون وإخراج ما بداخلها إشارة لموعد الولادة المباركة لسيدي عمار بوسنة وقطع اللسان للمجذوب يرمز لكلمة الحق التي لا يمكن كتمها، والحق يعلو ولا يعلى عليه وسيدي عمار لسان حق، السكين يعجز عن قطعه أو أذيته. والحلوى واستحضارها هو رمز للهدية التي يعترف فيها المجذوب بمدى حبه لسيده، وللمجذوبين الذين هم على اعتقاده. فالعلاقة علاقة أخوة ومحبة بين المؤمنين. ونفهم من كل ذلك أن المجذوب في الحضرة الصوفية يعيش حالات انفعالية وجدانية تجعله يسبح في عالم من الخيال والتخيل يحاكي فيه الواقع الأسطوري، وهنا يصبح اللامعقول ضربا من المعقول الذي يمكن تفسيره.

2- المفارقة واللامعقول في المعجزات والكرامات:

تستمد الطقوس الدينية في الثقافة الشعبية قوتها وغناها من الأساطير، والكرامات التي تتداول بين المعتقدين بوجودها، أو صحتها، والكرامة اصطلاحا: "عبارة عن أمر خارق للعادة، وغير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها؛ يظهرها الله على يد بعض عباده الصالحين إكراما لهم

من الله عز وجل[1]، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾.[2]

ويذهب بعض علماء الدين إلى أن لا فرق بين الكرامة والمعجزة فابن عطاء السكندري يرى: "أن كل كرامة لولي فهي معجزة لذلك النبي الذي هو الولي متبع له".[3] وعليه تعرف المعجزة بأنها" آية خارقة للعادة يؤيد الله بها أنبياءه ورسله ويتحدون فيها الناس".[4] والملاحظ أن المعجزة والكرامة يقومان على أساس خرق العادة، والقوانين المألوفة مما يعد اقتحاما لحياة الإنسان الواقعية فيشكل عجائبية دينية –حسب علماء الاجتماع والانتربولوجية– لا يقبلها العقل البشري لغموضها وعجزه عن تفسيرها فهي فوق مستوى إدراكه يقول كايوا: يحب العجائيبي أن يقدم لنا بشرا مثلنا فيما يوضعون في حضرة العالم الذي توجد فيه، إذ هم فجأة يوضعون في حضرة المستغلق عن التفسير. ويقول "فاكس" إنما العجائب كله قطيعة، أو تصدع للنظام المعترف به واقتحام من اللامقبول لصميم الشرعية اليومية التي لا تتبدل "فهذا الخرق يسبب التناقض بين الظاهر، والخفي فيوقعنا في المفارقة من جهة ،و في نطاق اللامعقول من جهة أخرى مما جعل بعض العقليين (المعتزلة) ينكرون معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم المادية كنبع الماء من بين يديه[5]. الشيء الذي دعانا في هذه الدراسة للوقوف على المفارقات، واللامعقول في هذه الكرامات بدءا بالمعجزة باعتبارها المرجعية الدينية الأولى للكرامة.

---

[1]– عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، الكتيبات الإسلامية، دار إبن خزيمة، (د.ط)، (د.ت) ص11.

[2]– سورة يونس: الآية: 62–64.

[3]– ابن عطاء السكندري: لطائف المنن، دار المعارف، القاهرة. ط3، 2006، ص 48.

[4]– الانترنت: موقع الإسلام سؤال وجواب:https://islamqa.info/ar/answers/124838/ ، لوحظ في 201/04/09، 10:15.

[5]: أحمد زغب :عجائبية الدين من عصا موسى الى عرجون سيدي الحاج علي: دلالتها من منظور الانتربولوجيا .. موقع شبكة ضياء hhps/diae.net 11;30 9/4/2019

أ- المفارقة واللامعقول في المعجزات:

- **معجزة سيدنا إبراهيم عليه السلام:**

النجاة من النار: "بعد تلك المناظرة التي أظهر سيدنا إبراهيم فيها احتقاره وازدراءه لآلهة أجداده، حاولوا القصاص منه فرموه في النار فبقى فيها أربعين يوما ولم يتأذى، وروى ابن عساكر أن أمه أقبلت عليه اعتنقته وقبلته ولم يحدث لها شيء من حرّ النار".[1]

- **معجزة سيدنا موسى عليه السلام:**

معجزة العصا المتحولة: ادعى فرعون أنه الإله قال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾[2]، فناظره موسى، وحاول إقامة الحجّة العقلية والمعنوية ثم الحسية لإثبات وجود الله وإظهار قدرته، ودحض ادعائه لكن فرعون استمر بطغيانه وتعنته، فلجأ موسى للاحتجاج بالبرهنة بالخوارق فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، ولم يتعظ فرعون بل طارده هو ومن خرج معه من مصر، وحاصرهم محاولا محقهم، فضرب موسى بعصاه البحر فانشق اثني عشر طريقا وبعدما تجاوزه دخله فرعون، وجنوده فضربه مرة ثانية فارتطم عليهم ولم ينج منهم أحد.[3]

أ-1- المفارقة في المعجزات: إن الدارس لهذه المعجزات يلاحظ التناقض بين سير الأحداث وهي على طبيعتها وبين ما تحولت إليه ضمن سياقها الديني، مما نتج عنه مفارقات موقفية متعددة، فالنار ذات طبيعة حارقة لكنها كانت على سيدنا إبراهيم بردا وسلاما .بل طاب مقامه فيها، وبالفعل خرج منها في الأخير سالما حسب ما ورد في النصوص القرآنية حيث قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾.[4]

---

[1]- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء، قصص الأنبياء، تح: عماد التركي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ط2، 2013، ص 103-104.

[2]- النازعات، الآية: 23-24.

[3]- ينظر: ابن كثير، قصص الانبياء، ص 240.

[4]- سورة الانبياء: الآية 69.

ومن المفارقات كذلك أن أمه دخلت معه النار وخرجت ولم تؤذها ألسنة النار، وكل هذا منافٍ لطبيعة النار ولقوانين الطبيعة، ولكنها أحداث أكدت الشواهد القرآنية حدوثها.

أما عصا موسى عليه السلام المتحولة عن طبيعتها وعن واقعها إلى وضعية أشبه بالخيال فأحداثها في المنظور الأنثربولوجي أسطورية ،فخرقها للنظام المعترف به أحدث فيه تصدعا، فالعصا من الأشياء الجامدة الساكنة، ولا نتوقع منها الحركة والالتهام، لكن عصا موسى تحولت الى كائن حي يتحرك، ويلتهم وتخرّ له السحرة ساجدين، فهذا كله يحدث مفاجأة، وخيبة توقع بحكم المعرفة القبلية لطبيعة الأشياء وما آلت إليه في سياقها الديني. ومن هنا تتجلى ملامح المفارقة الموقفية.

أ-2- **اللامعقول في المعجزات:** إن محاولة إخضاع المعجزات لوقفة عقلية مبنية على أساس المنهج العلمي القائم على (التكرار، البرهنة، التجربة). أو على أساس المنطق ومبادئه: (مبدأ الماهية، والثالث المرفوع ومبدأ عدم التناقض) أمر يعيد التحقيق، فالمعجزات كما سبق ذكرها خوارق فوق الإدراك، والتفسير للعقل البشري، ورغم ذلك سنحاول في هذه الدراسة تطبيق هذه المناهج وهذه المبادئ للوقوف على حقيقة اللامعقول ومواطنه.

- التكرار: هذه المعجزات حدثت في زمن الأنبياء والرسل وانقطعت عن الظهور بانقطاعهم وتكرارها أمر مستبعد، ولو أخضعناها للتكرار في الواقع فنفس الأسباب لن تحقق نفس النتائج فعصا موسى لو رميناها ألف مرة لن تتحول إلى حية أبدا، ونار سيدنا إبراهيم لن تكون بردا وسلاما على بني البشر باستثناء سيدنا إبراهيم فالمعجزات خاصة بالأنبياء والرسل فقط.

- التجربة: لا يمكن بأي حال من الأحوال إخضاع المعجزة إلى التجربة العلمية ولو حاولنا فلن تستجيب مادامت الصلة بين السبب والمسبب غامضة، وغير منطقية فالتجربة تثبت أن النار حارقة، والعصا لا تتحرك ولا تلتهم فهي جماد والمعجزات كانت نتائجها عكس معطياتها.

وهذا ما ترفضه قوانين العلم والمنطق.

-البرهنة: تفتقد المعجزة إلى برهنة حسية فأحداثها مجرد خوارق يؤمن بها المجتمع، والنظام الديني الذي يحضن الأسطورة ويعتقد بها، وينكرها البعض الآخر لأنها قضية عقائدية بعيدة كل البعد عن النظرة العلمية التي عادة ما يكون الإجماع حولها، فمعانقة أم إبراهيم لابنها وتقبيله إيّاه وعودتها سالمة لا يمكن للعلم إثباتها والبرهنة عليها والمنطق العلمي السليم يرفضها.

- مبدأ اللاتناقض: إن المعجزات مبنية أساسا على التناقض فالجماد يتحرك، والحارق يتحول إلى بارد وهذا حسب ما ذكرناه من معجزات وهو جمع بين المتناقضات لا تعترف به النظرة المنطقية، والعلمية.

- قانون الماهية: الأشياء في المعجزات لا تثبت على هيئة واحدة بل تتعدد صفاتها، ومظاهرها فالعصا تتحول إلى ثعبان، فالشيء الواحد تتبدل هيئته، وصفته، ووظيفته. وهذا يناقض قانون الماهية القاضي بالتزام الشيء بحقيقته كما هو عليها فالعصا عصا والثعبان ثعبان، لا يمكن ازدواجية الماهية بينهما.

إن محاولة إخضاع المعجزة لوقفة عقلية تستجيب لقوانينها، ومبادئها وفق النظرة الأنثربولوجية حسب النماذج المتوفرة لدينا أمر بعيد التحقيق، فاللامعقول سمة من سمات المعجزات والتناقض باد على أحداثها، مما يشكل مفارقة موقفية. ونخلص إلى أن المعجزة من الخوارق اللامعقولة فالعقل البشري قاصر على إدراكها باعتبارها فوق مستواه، ولا بد أن ثمة مستويات أخرى بها يمكن إدراكها غير العقل .

ب- المفارقة واللامعقول في الكرامات:

ومن الكرامات المتداولة في الثقافة الدينية الشعبية ببلادنا نذكر:

- **كرامات الولي الصالح سيدي علي التجاني التماسيني:**

- **عرجون التمر**: الذي رماه في الفضاء من حقله بتماسين وأمره بأن يسير حتى يصل إلى سيده أحمد التجاني بفاس، إذ سقط بين يديه بعد أن أتمّ صلاة العصر في جماعة، فقال لأصحابه أنه من عند ذلك البهلول(يعني الحاج علي) وانتهره الشيخ بعد ذلك حين لقيه، فقال

له اعذرني يا سيدي فقد كنت في حائط، والخدام يجنون التمر، أعجبني ذلك العرجون فتمنيت أن يصل إلى دارك كما هو فحملني ذلك على أن رميت به وقلت سر حتى تنزل بين يدي سيدي فزجره الشيخ .

– **كرامة الخطوة:** كان الشيخ الحاج علي التماسيني يقوم بزيارة شيخه الحاج أحمد التجاني بفاس بطريقة الخطوة (خطوة واحدة). فزجره الشيخ عن ذلك وقال له: إن كنت تريد مواصلتي لله فلا تأتني إلا كهيأة عامة الناس بنعلين وعكاز مع رفقة تذوق جميع ما يذوقونه في الطريق من العطش والإعياء والخوف وغير ذلك.[1]

– **كرامة الكابوية (اليقطين):** التي أرسلها تحت الأرض إذ حفر لها حفرة تحت الأرض وضعها فيها ثم أمرها بأن تسير إلى أن تصل إلى فاس، حيث استقبلتها زوجة سيدي أحمد التجاني هناك.[2]

- **كرامات الولي الصالح سيدي محمد السايح ببلدة عمر:**

– **عطف الحقات:** يروى عنه أنه حلب الحقة* التي في العادة لا تدر الحليب لصغر سنها ولأنها لم تلد بعد.[3] وفي ذلك تشير إحدى الموردات لذلك فتقول:

أنا خـاطـر وليـة ننده عليك يا بوعسرية
وراك ياامول الغباريــة وين ندهتكم تقـعدو ليا
كي الناقة ما فيهاش حويـة على جالكم طابو رجليا[4]

[1]– ينظر: أحمد بن الحاج العياشي سكيرج. كشف الحجاب عن من تلاقى مع الشيخ التجاني من الاصحاب، دار الكتب العامية بيروت. لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 127.

[2]– لقاء مع السيد: محمد البشير بن جعوان، 43 سنة، مدرس قرآن في الزاوية التجانية بتماسين، يوم 2019/03/26 على الساعة 18:30 مساء.

*– الحقة: هي الابل التي استكملت السنة الثالثة ودخلت في الرابعة ولم تلد بعد.

[3]– لقاء مع السيد: محمد بن خيرة، 53 سنة، بالطيبات يوم 2019/03/27 على الساعة 17:30مساء.

[4]– لقاء مع السيدة: قانة فاطنة بنت احمد، 90 سنة، بضريح سيدي محمد السايح ببلدة عمر.

- **كرامة سيدي حمودة بسيدي عمران:**

– **إشعال القدمين:** روي عنه أنه وضع رجليه أو قدميه في كانون النار وأشعلها بدل الحطب ثم طبخ الطعام للضيوف ثم أخرجهما سالمتين، وكانت النار بردا وسلاما عليه.

- **كرامة سيدي راشد بالمغير:**

– **بوقبرين:** يحكى أنه عندما يذهب الناس إلى قسنطينة يجدونه هناك وعندما يعودون إلى سيدي راشد يجدونه هناك في نفس اليوم، فيحتارون، ويسألونه عن الحقيقة فيقول أنا موجود هنا وهناك فأنا طير الحومة، ولهذا عندما مات بنوا له ضريحين أحدهما بقسنطينة والآخر بسيدي راشد بالمغير ونبشوا القبرين ووجدوه هناك في المكانين فسمي سيدي راشد بوقبرين.[1]

- **كرامة سيدي بلقاسم بتبسبست:**

– **رمي المزراق (الرمح):** على أثر خلاف بينه وبين ابنه يحيى أمره بالرحيل من المنطقة ثم رمى مزراقه في الفضاء، وأمره بالبحث عنه، وأينما وجده فتلك هي منطقة إقامته، وفعلا تمّ العثور عليها بسيدي يحي أين يوجد ضريحه الآن.[2]

ب–1– المفارقة في الكرامات: بعد قراءة هذه الكرامات وجدنا أن جلها يشكل مفارقات مبنية على التناقض بين حقيقة الأشياء وهي على طبيعتها، وبين ما آلت إليه في سياق الكرامة، وما يعتقد فيها من صدق جازم لدى المريدين والأتباع، فالعرجون في حالته الطبيعية لا يتحرك لكن عرجون سيدي علي يطير بلا جناحين، وينتقل ويقطع المسافات، ويصل إلى فاس دون أن يعترضه عارض ويحط بين يدي سيدي أحمد التجاني أمام مرأى من المصلين، وهذه المفارقة مبنية على مخالفة كل توقع. كما أن النار من طبيعتها الإحراق لكن نار سيدي

[1]– لقاء مع السيد: عبد الحميد إبراهيم قادري 57 سنة، تقرت، يوم 2019/03/30 على الساعة 9:30 صباحا.

[2]– لقاء مع السيد: زرزور الغيلاني 48 سنة، عضو ناشط بحضرة رجال حشان، تقرت يوم: 31/ 2019/03، على الساعة 16:00 مساء.

حمودة مسالمة وهي برد وسلام على قدميه، لكنها تطهو الطعام وهذه مفارقة موقفية يختلف فيها ظاهر الأشياء عن خفيها.

إذن فالمفارقة جلية في هذه الكرامات، ورغم تناقضها إلا أن العامة يصدقونها ويعتقدون بحقيقة وجودها.

ب-2- اللامعقول في الكرامات: الكرامات خوارق والخوارق من اللامعقول، فهي فوق مستوى إدراك العقل، والمنطق السليم يرفضها لأنها تتعارض مع مبادئه، ومع قوانين الطبيعة المألوفة، وللوقوف على جوانب اللامعقول في هذه الكرامات وجب علينا إخضاعها لدراسة علمية ومنطقية تستند إلى قوانين العقل، ومبادئه باعتبار المعقول ما كان قابلا (للتجربة والتكرار والبرهنة) من جهة، وما لا يتنافى مع مبادئه الأولى -حسب أرسطو- (قانون الماهية، ومبدأ اللاتناقض، والثالث المرفوع).

- التكرار: هذه الكرامات معظمها حدثت في حياة هؤلاء الأولياء وذهبت بذهابهم، وتكرارها غير ممكن ولن تحدث إلا مع أصحابها، وإن حدثت فالنتائج تكون مخالفة للأسباب مما يجعل العلاقة بينهما غير منطقية فعرجون سيدي علي حدث مرة واحدة في التاريخ، ولو كررنا العملية بحسب القوانين العلمية فالعرجون لن يصمد في السماء، وهذه النتيجة حتما تتناقض مع أحداث الكرامة، فالعقل البشري يؤمن بما هو قابل للتكرار وهذا ما لا يتوفر في هذه الكرامة وهذا الحكم ينسحب على معظم الكرامات السابقة الذكر.

- التجربة: التجربة شرط من شروط العلم، والمنطق، وإخضاع هذه الكرامات لها أمر ليس مستطاعا، وإن جربناها فلن نتوصل كذلك الى نفس النتائج التي توصل إليها الأولياء من قبل فإدخال القدمين في النار حسب كرامة سيدي حمودة وإخراجهما سالمتين يتنافى مع القانون العلمي القائم على ربط الأسباب بالنتائج، فالنار حارقة حسب النظرة العلمية والتجربة الواقعية وليس للبشر طاقة على مقاومتها، ورمح سيدي بلقاسم يقطع المسافات الطويلة ويتحدى قانون الجاذبية، ويطير بلا جناحين وهو أمر ترفضه التجربة العلمية وبالتالي يرفضه المنطق.

– البرهنة: هذه الكرامات قائمة على أساس الاعتقاد ومحاولة إثبات صدقها بالحجة الحسية، والبرهان المادي غير ممكنة فهي مجرد إدعاءات مجردة والاستدلال عليها عقليا غير ممكن، فظهور الولي الصالح في مكانين في وقت واحد وإدعاؤه بأنه يطير في الفضاء هو تحول لا يمكن البرهنة عليه، وكل مالا يمكن البرهنة عليه وتقديم الحجة والبيان عليه فهو ضرب من اللامعقول.

– قانون الماهية: قانون الماهية لا يؤمن بالازدواجية وتعدد الوظائف، فالشيء له وجه واحد والملاحظ أن جل هذه الكرامات مبنية على الازدواجية فالأشياء تتحول من وضع إلى وضع آخر فسيدي راشد يتحول من صفة البشر إلى صفة طائر وأغنام سيدي بن دويم* تتحول إلى شجر الآزال* فانتقال الشيء من صفة إلى أخرى نكران لماهيته التي من شروطها الثبات على هيئة واحدة.

– مبدأ اللاتناقض: الوقفة العقلية ترفض التناقض وهذه الكرامات أساسها التناقض فسيدي راشد موجود في مكانين هنا وهناك، وهو يختفي ويظهر، يمشي ويطير وحيوان الولي سيدي بن دويم يتحول إلى شجر ثابت، وناقة سيدي محمد السائح التي لم تلد بعد تدر الحليب وكل هذه المتناقضات لا يتقبلها العقل.

– مبدأ الثالث المرفوع: المتأمل في هذه الكرامات وفق سياقاتها الدينية يجد نفسه في وضع التشكيك، والافتراضات والاحتمالات فازدواجية الأدوار السابقة الذكر تجرنا إلى احتمالات أخرى لا يقبلها المنطق، ويرفضها العقل فوجود سيدي راشد في قسنطينة وفي سيدي راشد (المغير) في حياته ووجود ضريحين له بعد مماته، وتأكيد المعتقدين بصحة هذه الأحداث والكرامات يدعونا لافتراض احتمال ثالث أن الموجود بالقبرين قد يكون أحدهم ليس للولي الصالح لأن العقل لا يقبل وجود قبرين لشخص واحد .

---

* – الولي عبد الله بن دويم: ولي صالح يقع ضريحه شرق مدينة الطالب العربي يبعد عنها بحوالي 3 كيلو متر يروى ان من كراماته الاختفاء والظهور وتحول ابله الى شجر الازال.

* – الازال: شجر كبير ينبت في المناطق الحارة يستخدم لحاء خشبه للدباغة 'كما يستعمل خشبها للغذاء وطبخ الطعام والتدفئة في فصل الشتاء.

ونجمل القول أن رغم التداخل الواضح بين مبادئ المنطق والقوانين العلمية إلا أن التناقض جلي في الكرامات وهذا ما شكل مفارقات موقفية، وحكما لا عقليا، بحكم أن التناقض بينهما يشكل علاقة عضوية تبنى عليها المفارقة، ويرفضها العقل. ولذلك تبقى الكرامات ضربا من الخوارق، واللامعقول يستدل عليها بالوجدان والسمو الروحي لمعتقديها وليست المعجزة بمنأى عن هذا الحكم كونها من خوارق العادات.[1]

ج- رمزية المعجزة والكرامة:

المعجزة والكرامة حسب دراستنا حدث لا معقول، والعقل البشري عاجز على إدراكهما، وتفسيرهما فوق طاقته إلاّ أنه بالإمكان عقلنتهما حسب رأي بعض الدارسين بفضل تطور العلوم والتكنولوجيا كطي المسافات بالطيران، أو الأجهزة السمعية، وهذا ما ينسحب على المعجزة خصوصا، كمعجزة الإسراء والمعراج حسب النظرة الأنثروبولوجيا فإدراكها فوق مستوى العقل لكن بتقدم العلم والتكنولوجيا واعتمادا على طي المسافات بالطيران يمكن تصورها وإدراكها ويمكن إسقاط هذا التفسير كذلك على إحضار الذي عنده علم من الكتاب عرش بلقيس في طرفة عين[1] وهذا ما ينطبق على الكرامة باعتبارها من الخوارق وخطوة سيدي علي التجاني التماسيني يمكن أن تدرك من هذه الزاوية، ويرى زيغور" أن الكرامة في جانب منها تمثل مبادئ صوفية وتحاول تجسيد ما هو مجرد، فإن دعت إلى قيم العدل مثلا لجأت إلى التمثيل بالصور والاستعارة والحكاية بمبدأ صوفي أو قيمة أخلاقية أو واجب ديني"[2].

فالكرامة إذن لها أبعاد وإيحاءات نفسية وروحية تريد الإفصاح عنها وهذا أمر خيالي وجداني يعيشه المتصوف أو المعتقد بالكرامة وبصاحبها، وبذلك تعبر الكرامة عن قيم تجسدها تجسيدا، فعرجون سيدي الحاج علي التماسيني يشير إلى تلك الشحنة العاطفية المفعمة بالحب

[1]- ينظر: أحمد زغب: عجائبية الدين من عصا موسى إلى عرجون سيدي الحاج علي: دلالتها من منظور الانتربولوجي، شبكة الضياء،hhps/diaie.net ، 21/12/2017، 11;30.

[2]- ينظر: علي زيغور: الكرامة الصوفية الاسطورة والحلم، ص 30.

والود يكنها المؤمن لأخيه المؤمن.[1] كما نلتمس فيها الإيثار عن النفس، ويتجلى ذلك من خلال قوله: أعجبني ذلك العرجون فتمنيت أن يصل إلى دارك فقصد بذلك هدية المحب لمحبه.

وما يقال عن العرجون يقال عن تلك الخطوة التي كانت تطوي الأرض أمامه ليقطع مسافة نحو 2000 كيلومتر من تماسين قرب تقرت إلى فأس شرق العاصمة الرباط بـ 300 كيلومتر بخطوة واحدة غريبة وعجيبة، إن هذه الخطوة ليست بخطوة حقيقية واقعية بقدر ما هي إيحاء عن القرب النفسي الذي يشعر به المؤمن اتجاه أخيه المؤمن، فالقلوب المؤمنة المخلصة لا تعيقها المسافات مهما بعدت، ولهذا كانت خطوة سيدي الحاج علي تنمّ عن شدة حبه لسيده وتعلقه به وقربه المعنوي منه، وهي قيمة إنسانية روحية تعبر عن العلاقة الحميمة، والمخلصة بين فريق المؤمنين. وما مزراق سيدي قاسم إلا تعبيرا عن قيم أخلاقية وروحية أراد أن يزرعها في ابنه الطائش فرمى بمزراقه (رمحه) آنذاك فعاقبه بإبعاده من بلدته ليصلح من أمره، ويعمر البر الخالي، فالتعمير قيمة تلتقي فيها معظم الكرامات حسب السياقات الدينية التي رويت فيها.

ونخلص إلى أن الدين الشعبي أو الرسمي مبني على اللامعقول والاعتقاد حسب طقوسه وكراماته، ومعجزاته التي تناولناها بالدراسة، إلا أنه بالإمكان إخضاعها للعقلنة بفعل تطور العلوم، والتكنولوجيا أو باللجوء إلى التعابير المجازية التي قد تبرره عقليا، وتجعل منه حدثا منطقيا لأن العقل أحيانا يحتاج إلى الخيال، والوجدان ويستعين به لإدراك بعض الأشياء المجردة.

[1]– ينظر: أحمد زغب: عجائبية الدين من عصا موسى الى عرجون سيدي الحاج علي: دلالتها من منظور الانتربولوجيا، شبكة الضياء،hhps/diaie.net ، 21/12/2017، 11:30.

الفصل الثالث

المفارقة واللامعقول في كلام المجانين والدراويش

أولا: الجنون

1- مفهوم الجنون

2- المجنون في التراث العربي

ثانيا: الدروشة

1- مفهوم الدروشة

2- مفهوم الدرويش في الثقافة المشرقية والمغربية

ثالث: المفارقة واللامعقول في كلام المجانين والدراويش

1- المفارقة

2- اللامعقول

أولا: الجنون

ربما كان الجنون قديما قدم الجنس البشري، فقد تبدى في الأساطير الدينية المبكرة والحكايات الخرافية بوصفه قدرا أو عقابا.[1] ومفهوم الجنون في الثقافة العربية والإسلامية يحاط بكثير من العوامل الشائكة، فهو إما وصمة تسقط عن صاحبها واجباته الدينية وبعض الدنيوية، أو وسيلة للنصح، والوعظ والنقد السياسي وأحيانا الترفيه، لذلك لا تعد مقاربة مفهوم الجنون سهلة.

1- مفهوم الجنون

1-1- لغة: تتسع المعاني اللغوية الخاصة بالجنون إلا أنها بالرغم من ذلك تدور في أفلاك ثلاثة:

- إخفاء الشيء، أو ستره فالجنة ما يصير إليه المسلمون في الآخرة وهو ثواب مستور عنهم اليوم.[2] وأطلق على الجن هذه التسمية "لاستجنانهم من الناس فلا يرون".[3]

ومن هذا المعنى أطلق الجنون على من استتر عقله وغاص فيظهر عدم انتظام في سلوكه وأقواله، ولذلك يسقط عنه التكليف ولا يؤاخذ بما يفعل، فالجنون يغطي العقل. كما سمي سواد الليل بالجنان، لأنه يغطي كل شيء عن ضوء النهار ويستره.[4]

- يطلق الجنون على الشيء إذا تجاوز الحد فيقال: "جنّ النبت جنونا غلظ واكتهل"[5]، وتقول العرب "ناقة مسعورة: إذا كانت كأنها مجنونة من نشاطها"[6]، وقيل جنّ جنون الذباب إذا قوي طنينه، وكثر ترنمه في طيرانه.[7]

---

[1]- ينظر: روي بورتر، موجز تاريخ الجنون، تر: ناصر مصطفى، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبوظبي، ط1، 2012، ص19.

[2]- ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1، ص 421.

[3]- الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، ج1، ص 267.

[4]- ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1، ص 422.

[5]- ابن منظور: لسان العرب، مادة (جنن)، ج13.

[6]- أبو بكر الأنباري: محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة للنشر، ط1، 1412هـ/1992م، ج1، ص 290.

[7]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (جنن)، ج13.

ومنه نستخلص أن معنى الجنون يطلق على كل ما كان جار على غير المألوف فيتجاوز الحدود التي رسمت لطبيعة الأشياء. كذلك يوصف الشخص بالجنون إذا كانت أفعاله مضطربة فتخرج عما اعتاد عليه الناس من تصرفات.

- يطلق الجنون على ما تخلخل ولم يتزن، وفي هذا المعنى يقول أبو حيان التوحيدي عن الصاحب بن عباد ناسبا الكلام إلى أحدهم: هو مجنون كلام[1]، ولم يلبث أن وضح فكرته بقوله: "تارة تبدو لك منه بلاغة قس، وتارة يلقاك بعي باقل".[2]

ويتضح من هذا المثال أن إحدى معاني الجنون يتمثل في عدم الالتزام بنسق محدد يضمن للأفعال الصادرة شيئا من التوازن والتناسق، وذلك قياسا على أن "كلام المجانين متفاوت غير مستقيم".[3]

ومما أسهم في تحديد معنى الجنون ما اتفق عليه اللغويون على مقابلته بالعقل، والعقل في اللغة مأخوذ من الحبس وإمساك الشيء[4]، وسمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك ويحبسه، والعاقل هو الذي يحبس نفسه فيردها عن هواها.[5] بخلاف المجنون فهو لا يحبس نفسه عن هواها، ولا يتحكم في الأقوال والأفعال الصادرة عنه.

1-2- اصطلاحا:

جاء في المعجم الفلسفي: "أن الجنون هو الخلل العقلي الشديد، وقيل هو زوال العقل أو فساده."[6]

---

[1]- ينظر: أحمد خصخوصي، الحمق والجنون في التراث العربي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1413هـ/1993م، ص 44.

[2]- المرجع نفسه، ص 44.

[3]- النيسابوري: أبو القاسم الحسن بن محمد، عقلاء المجانين، تحقيق الدكتور عمر الأسعد، دار النفائس، بيروت، ط1، 1408هـ/1987م، ص34.

[4]- ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج3، ص 204، (عقل).

[5]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عقل)، ج 13.

[6]- جميل صليبا، المرجع السابق، ج1، ص 418.

إلا أن علم النفس أثبت أن الجنون لفظ من الأخطاء الشائعة لدى العامة في تسمية من يعاني اضطرابا عقليا، "لأن كلمة مجنون ليس لها دلالة واضحة، ولا يوجد أي مرض في الطب النفسي والعقلي يسمى الجنون، وهي كلمة عامة تشير إلى الاضطراب الذي يحدث للفرد بعيدا عن مألوف تقاليد المجتمع"[1]

وما يعرف بالجنون عند العامة يطلق عليه في علم النفس مصطلح "الذهان". واصطلاح "الذهان" psychose غير شائع، والمألوف هو الجنون. والذهان هو فرع من الاضطرابات النفسية العقلية الخطيرة. ويشمل الذهان اضطراب التفكير والوجدان والسلوك فينفصل التفكير والوجدان عن الواقع، ويشذ السلوك كثيرا، وتكون هناك أفكار غريبة تخطر على عقل المريض، ولا تملك إزاءها إلا أن تقول إنه مجنون.[2] فالمجنون عند الناس ذلك الشخص الذي يسمع الكلام، ويسب ويرمي ويخرق الثوب، أو هو من يخالفهم في عاداتهم فيجيء بما ينكرون.[3]

ولذلك يؤكد "ميشيل فوكو" في كتابه "الجنون والحضارة" أن الجنون ليس حقيقة طبيعية بل هو ظاهرة ثقافية كرسته جملة من الممارسات الطبية والإدارية والطبيعة العقلية.[4]

ومن خلال ما استعرضناه آنفا من أن الداعي إلى إلصاق صفة الجنون بشخص ما هي إلا السلوكات، والأقوال التي يخرج بها عن مقتضى الطبيعة التي اعتادها الناس. وهذه الطبيعة لا تحدد إلا من خلال السياق الاجتماعي والثقافي السائد في مجتمع ما، نستنتج أن الشخص لا يمكن أن يوصف بالعقل أو الجنون إلا في وسط يحدد في لاوعيه الجمعي مجموعة من القيم والأعراف، والتقاليد التي لا يمكن تخطيها أو كسرها، ومن يخالف المجتمع في عاداته وينكر قيمه، ويرفض ما تواضع، واتفق عليه الآخرون فهو المجنون، ولذلك سمت

---

[1]– وسام حسين جاسم العبيدي، صورة المجنون في المتخيل العربي –منذ العصر الجاهلي حتى القرن الخامس الهجري–، دار الروافد الثقافية، لبنان، ط1، 2016، ص 78–79.

[2]– ينظر: عبد المنعم الحفني، موسوعة عالم علم النفس، دار نوبليس، لبنان، ط1، 2005، مج 2، ص 144–145.

[3]– ينظر: النيسابوري، المصدر السابق، ص30.

[4]– ينظر: مفيد نجم، الجنون حقيقة طبيعية أم ظاهرة ثقافية، https://alarab.co.uk، لوحظ في 2019/03/20.

"الأمم الرسل مجانين لأنهم شقوا عصاهم فنابذوهم، وأتوا بخلاف ما هم فيه"[1] وفي ذلك قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ٩﴾[2]، وقد رمي الرسول ﷺ حين دعا قومه إلى دين الإسلام بعد أوصاف أطلقها عليه قومه، كان أكثرها تشويها لصورته وصفه بالمجنون حيث قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦﴾[3].

وكذلك كانت سنة الأمم جميعها، ما يظهر فيها من نبي إلا رموه بتهمة الجنون لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ٥٢﴾[4]

والباعث الحقيقي لهذه الأمم من رمي الأنبياء بتهمة الجنون هو التشكيك في الدعوة، وصدق الرسالة، وحمل الغير على عدم الإيمان بها.

وعليه فإنه لا يوجد حد فاصل بين العقل والجنون إلا من خلال ما يتبدى من سلوك الأشخاص "الذي يوصف بالعقلانية تارة، وبالجنون تارة أخرى، وهذا الوصف رهين التقاليد والمعتقدات الخاصة بكل مجتمع على أن بعض المجانين قد يتصرفون أحيانا في أثناء تنبههم تصرفا ينم عن الذكاء. في حين أن بعض العقلاء قد يأتون أفعالا شاذة في بعض الأحيان تدل على جنون مطبق".[5]

2- المجنون في التراث العربي

عرف العرب ظاهرة الجنون منذ العصر الجاهلي ولكن الاهتمام بالمجانين وكلامهم لم يظهر إلا في العصر العباسي. وقبل الخوض في تتبع بعض ما ذكر عن المجانين وكلامهم في التراث العربي، تجدر الإشارة إلى أن صورة المجنون قد اختلطت بصورة الأحمق، إذ يستعمل الأديب في تراثنا الواحدة منهما مكان الأخرى، فيتحدث عن أحد المجانين ثم يعقب

---

[1]- النيسابوري، المصدر السابق، ص 30.

[2]- سورة القمر، الآية: 09.

[3]- سورة الصافات، الآية: 36.

[4]- سورة الذاريات، الآية: 52.

[5]- محمد حسني ولاية، بين العقل والجنون، مطبعة التعاون بالإسكندرية، 1937م، ص 04. نقلا عن: وسام حسين جاسم العبيدي، صورة المجنون في المتخيل العربي، ص95.

ذلك بقوله: إنه أحمق أو العكس من ذلك حين يتناول أحد الحمقى ثم لا يلبث أن ينعته بأنه أجن الناس.[1] وقد نجد مسوغا لهذا التداخل اللغوي الترادفي في الاستعمال وهو تشابه الأحمق والمجنون في كثير من الأعراض والسلوكيات.[2]

وقد عد الجاحظ بحسب رأي الكثير من الباحثين من أوائل النقاد العرب الذين تنبهوا إلى ضرورة تدوين المحكي الشفاهي وروايته فيما يتعلق بالفئات الهامشية في المجتمع العربي الإسلامي. ومن هذه الفئات المجانين والحمقى إذ يقول: "... وقد روينا نوادر من كلام الصبيان والمحرمين من الأعراب، ونوادر كثيرة من كلام المجانين وأهل المرّة من الموسوسين ومن كلام أهل الغفلة من النوكى*، وأصحاب التكلف من الحمقى فجعلنا بعضها في باب الاتعاظ، والاعتبار، وبعضها في باب الهزل والفكاهة، ولكل جنس من هذا موضع يصلح له. ولابد لمن استكده الجدّ من الاستراحة إلى بعض الهزل".[4]وفي هذا النص يظهر الجاحظ اهتمامه بجمع النصوص المهمشة من ذائقة السلطة العباسية.

وتظهر الفكاهة غرضا أساسيا إلى جانب الاتعاظ وراء جمع الجاحظ لكلام المجانين والحمقى، لذا جعل يوزع أخبار النوكى والمجانين في عناوين متفرقة من كتابه، ولكن غايته هي إمتاع القارئ المقبل على كتابه بنوادر من أخبار هذه الفئات المهمشة، وقد صرح الجاحظ بهذا الغرض بقوله: "وأحببنا أن لا يكون مجموعا في مكان واحد إبقاء على نشاط القارئ والمستمتع".[5] ولم يفرق الجاحظ في كتابه بين الجنون والحمق فهو يورد كلام ونوادر النوكى والمجانين والموسوسين كلهم في سياق واحد.

---

[1]– ينظر: الجاحظ: عمرو بن بحر، البيان والتبيين تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7، 1418هـ/1998م، ص 248،262.

[2]– ينظر: وسام حسين جاسم العبيدي، مرجع سابق، ص 111.

*– النوكى: الحمقى.

[4]– الجاحظ، المصدر السابق، ج2، ص 222.

[5]– المصدر نفسه، ج4، ص 5.

– أما النيسابوري فقد عدّ من أوائل الذين أفردوا مدونة خاصة بكلام ونوادر المجانين جمع فيها مسارد الجنون المتناثرة في سائر المصادر السابقة.

ويتضح من خلال عنوان مؤلف النيسابوري (عقلاء المجانين) أن هذه التسمية الحافلة بالأضداد تشير إلى أن الكاتب "لا يتكلم عن أي مجانين، بل عن فئة خاصة، المجانين الذين ينطقون بالحكمة".[1]

وقد أورد النيسابوري أخبارا كثيرة تظهر المجنون جريئا لا يهاب سطوة الحاكم ونفوذه "وهو وإن تجرد من السلطة التي يملكها الحاكم، فهو يمسك بسلطة البيان الذي يجعله والحاكم في موقف الند للند، فيتهكم وينذر ويتوعد، ولا تأخذه لومة لائم".[2]

ويلاحظ أن ابن الجوزي في كتابه "أخبار الحمقى والمغفلين" يجمع بين مصطلحي الأحمق والمغفل في الاستعمال فيجعلهما شيئا واحدا، ولكنه امتاز عن غيره من الأدباء واللغويين في أنه يفرق بين الحماقة، والجنون "فمعنى الحمق والتغفيل هو الغلط في الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحة المقصود، بخلاف الجنون فإنه عبارة عن الخلل في الوسيلة والمقصود جميعا، فالأحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد ورؤيته في الطريق الوصال إلى الغرض غير صحيحة، والمجنون أصل إشارته فاسد، فهو يختار مالا يختار".[3] ويورد ابن الجوزي مثالا لإيضاح ذلك فيقول: "ومن ذلك أن طائرا طار من أمير، فأمر أن يغلق باب المدينة، فمقصود هذا الرجل حفظ الطائر".[4]

ونشير إلى أن ابن الجوزي قد خصص أكثر من باب في كتابه لعقلاء المجانين، لكنه في كتابه هذا كان أخف وطأة في التعاطي مع المجانين، وكان مشددا موقفه مع الحمقى.

---

[1]– وسام حسين جاسم العبيدي، مرجع سابق، ص 224.

[2]– المرجع نفسه، ص 228.

[3]– ابن الجوزي: الحافظ جمال الدين، أخبار الحمقى والمغفلين، شرحه: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، لبنان، ط1، 1410هـ/1990م، ص23.

[4]– المصدر نفسه، ص 23.

ولم يقتصر ذكر أخبار المجانين والحمقى في التأليف العربي على هؤلاء الأدباء فقط. ومن بين الذين تطرقوا إلى ذكر نوادر هذه الفئات أبو حيان التوحيدي وأبو الفرج الأصبهاني، والضراب وغيرهم.

أما ابن خلدون فلم يتعرض إلى ذكر نوادر هذه الفئات من الحمقى والمجانين، وإنما قدم في المقدمة تعريفا دقيقا للجنون، إذ وقف عند الفروقات المتواجدة بين المجنون، وشبه المجنون أو ما سماه بالبهلول، إذ أبعد هذا الأخير عن الدلالة الإيجابية التي ارتبطت به، والمتعلقة بالسيادة والكرم، والحسن وعزّة النفس[1]، ليقرنه بالبلاهة ويجعله يقارب حافات الجنون دون إقصاء تام لهذه المعاني الإيجابية لأن البهاليل "لم تعدم نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال المجانين وإنما فقد لهم العقل الذي يناط به التكليف، وهي صفة خاصة للنفس [...] وليس من فقد هذه الصفة بفاقد لنفسه ولا ذاهل عن معرفة المعاش".[2]

فابن خلدون لا يلغي عن البهلول إمكانية المعرفة المقتربة من الكشف الصوفي المتحقق بالدربة، والزهد، والرياضة الدينية، في حين أن المعرفة التي ينتجها المجنون يخالط فيها الحق الباطل لفساد نفسه الناطقة.[3]

ومن خلال هذا الكلام نلاحظ أن ابن خلدون يضع مصطلحا آخر مقابلا للمجنون بدلا من مصطلح الأحمق أو المغفل، وهو مصطلح البهلول أو شبه المجنون ويتميز هذا الأخير عن المجنون بأنه يخلق على البله من أول نشأته، بينما المجنون يعرض له الجنون بعد مدة من العمر لعوارض بدنية طبيعية.[4]

وعليه فابن خلدون يرى أن الجنون مرض يصيب الإنسان بعد مدة من عمره، ولا يولد به.

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (بهل)

[2]– ابن خلدون: عبد الرحمان بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 1425هـ/2004م، ج1، ص 225.226.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ص 225.

[4]– ينظر: ،المصدر السابق، ص 226.

ثانيا: الدروشة

يمتد الدراويش عميقا في التاريخ الإسلامي، وقد وصفهم البعض بممارسة طقوس غير منضبطة، وخدع زائفة. فمن هم الدروايش؟ وما المقصود بالدروشة؟

1- مفهوم الدروشة:

1-1- لغة:

يرد ذكر الدراويش في المصادر العربية التي ألفت بعد القرن السادس الهجري، أما المصادر المتقدمة فلم تذكر فيها هذه الكلمة. مما يدل على أن فكرة الدروشة جاءت متأخرة وقد ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة: "تدروش: يتدروش، تدروشا، فهو متدروش.

تدروش الشخص: عمل عمل الدراويش وحذا حذوهم. تمسكن وأظهر من نفسه الفقر والذل.

درويش [مفرد]: ج دراويش: زاهد متعبد، جوال (عند الصوفية) فقير. أحد أتباع طريقة إسلامية زاهدة يؤدي بعضهم رقصات دوارة وغناءا قويا كوسيلة للوصول إلى النشوة الروحية المستمدة من التكرس للعبادة".[1]

وفي "المنجد في اللغة" يذكر لكلمة درويش ثلاثة معان هي: الراهب والمتعبد والزاهد.[2]

إذن ففي اللغة لا تخرج كلمة درويش عن معنى الزهد والتعبد والفقر.

1-2- اصطلاحا:

الدرويش كلمة فارسية الأصل مكونة من مقطعين: "در" وتعني باب، "ويش" وتعني فقير. وكانت تطلق في بادئ الأمر على الفقراء، والمحتاجين الذين يسألون الناس إحسانا، أما بعد ظهور الإسلام أطلقت على الزاهدين من المسلمين.[3]

وقد تطور معنى كلمة الدرويش حينما اتصل بأرباب التصوف، إذ يعرف الصوفي بين الأتراك بالدرويش، وهو مصطلح يشتمل عندهم على العديد من التصورات الفلسفية، والأدوار

---

[1]- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م، مج1، ص 742.

[2]- ينظر: لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص 214.

[3]- ينظر: إبراهيم عبد الحافظ، هامش: الإبداع وآليات التجديد في الشعر الصوفي الشعبي، مجلة الثقافة الشعبية، ع23، خريف 2013، ص 83.

الاجتماعية، كما أن للدراويش عندهم تكايا* خاصة يقيمون فيها وينفق عليهم من الأموال الموقوفة.[2] ولكن عندما غلبت البلاهة على أكثرهم تحولت عندهم أفكار المتصوفة من السمو الفلسفي الروحي إلى شعوذات، وخرافات مما لا أصل له في الفكر الإسلامي.[3]

وبذلك أصبحت "الدروشة مختلفة عن التصوف أو هي لون من ألوان التصوف، توجد عند العوام لا عند من يعتبرهم العامة شيوخا، أو أكابر".[4]

فالدرويش هو المسلم الذي يحيا حياة خاصة تهتم بالجانب العملي من التصوف كالذكر والعهد والخلوة... الخ[5]

وهو في مصر اسم يطلق على الصوفية، الذين يحترمون كثيرا، وأكثرهم احتراما من كان من الأشراف، أو بيت أبي بكر أو بيت عمر، وقد اشتهر الدراويش في مصر بالإتيان بالأعمال العجيبة كغرز المسامير الحديدية في أعينهم وغير ذلك. وكلما كان الرجل منهم مجنونا، أو قليل عقل اعتقدت فيه الولاية.[6]

وتشتهر هذه المعاني لكلمة الدرويش في المشرق العربي أكثر من المغرب العربي. وقد قال باحث فرنسي "إن المغرب العربي هو من أنزل الصوفية من عرش الفلسفة السماوية إلى أرض الحياة اليومية، ففي هذه البلدان بخلاف المشرق، لا تستطيع أن تميز بين الشيخ الحكيم، أو الدرويش الأبله، أو الولي الصالح لأنهم يشبهون جميعا المتسول المتشرد".[7]

من هذه العبارة نستنتج أن إحدى صفات الدرويش في المغرب العربي البلاهة.

---

*– تكايا: ج تكية، وهي كلمة تركية تقابل الزاوية في ثقافتنا الشعبية.

[2]– ينظر: رايموند ليفشيز، مقدمة تكايا الدراويش (الصوفية والفنون والعمارة في تركيا العثمانية)، تر: عبلة عودة، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط1، 1432هـ/2011م، ص 19.

[3]– ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1416هـ/1996م، ص 180.

[4]– خالد محمد عبده، معنى أن تكون صوفيا، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة، ط2، 2018، ص 80.

[5]– ينظر: إبراهيم عبد الحافظ، مرجع سابق، ص 83.

[6]– ينظر: أحمد أمين، المرجع السابق، ص 202–203.

[7]– إبراهيم الكوني، نزيف الحجر، دار التنوير للنشر والطباعة، لبنان، ط3، 1992، ص 115–116.

والدراويش في الجزائر هم أشخاص يولدون "بتأخر ذهني" مسالمون لا يميلون إلى العنف، ويشاع أن لهم كرامات، وبركات كالأولياء، ولذلك يعاملون بنوع من التقديس، ويتورع الناس عن أذيتهم، لأن دعاءهم مستجاب وليس بينهم وبين الله حجاب إضافة إلى أن لهم قدرة على التنبؤ بالمستقبل.[1]

2- مفهوم الدرويش في الثقافة المشرقية والمغربية:

من خلال ما تطرقنا إليه آنفا نستخلص أن المفاهيم اللغوية، والاصطلاحية للدرويش تتقاطع ومفاهيم الثقافة الشعبية، المشرقية منها والمغربية، فهي تكاد تصب في سياق واحد، وتجمع على أن الدرويش هو الزاهد أو الفقير، أو الصوفي، أو المسكين أو الجوال، أو المتسول أو الناسك، فكثير من الناس في البلاد العربية في الحضر والبادية، وفي مصر والشام، وإيران، وتركيا وحتى الحجاز لا تخرج الكلمة عندهم عن هذه المعاني.

ويغلب ارتباطها بالفقر، والحكمة، ومعرفة أمور الطب، ويطلبهم الناس وقت الشدة كي يستريحوا بحملهم عنهم مشاكلهم، وما يؤرقهم في حياتهم كون الدراويش مجاهيل، والأسرار معهم محفوظة والدرويش كذلك عندهم هو الذي يحضر حلقة الذكر، ويرقص، وقد يلجأ إليه في السر لصنع التمائم والرقي.[2]

هذه المفاهيم تقتصر عادة على المشرق عموما، باعتبار أن مفهوم الدرويش في المغرب له بعض الخصوصيات فهو رغم زهده في الحياة الدنيا، وبراءته، وانحداره من مذاهب صوفية، إلا أنه ليس بالضرورة أن يكون حافظا للقرآن، أو راق، أو صانعا للتمائم والأحراز بل قد يكون ساذجا، أو ضعيف الحالة الذهنية مع إمكانية معرفة بعض المغيبات، والتمتع بالكشف الصوفي، إلا أنه شبيه بالمجنون. ويمكن أن نلتمس ملامح الدرويش من خلال ما جاء في مقدمة ابن خلدون حين حاول الوقوف على الفوارق الموجودة بين المجنون والبهلول أو المعتوه وتمييزهما عن بعضهما، فلقد أسقط بعض أوصاف البهلول أو المعتوه على

[1]- ينظر: حمزة عتبي، من عمق الجزائر مدينة تقدس الدراويش www.maghrebvoice.com، لوحظ يوم 2019/02/4.

[2]- ينظر: خالد محمد عبده، المرجع السابق، ص 78-79.

المفهوم الثقافي للدرويش في الوسط الشعبي بالمغرب بمنطقتنا، إلى حد تطابق المفهومين، حتى أننا لا نكاد نفرق بين توظيفها، ومقصدهما عند العامة.

إذن ومن خلال تقصينا لمفهوم الجنون، والدروشة في الثقافة العربية لاحظنا أن ثمة علاقة تربط بين المجنون والدرويش في ثقافتنا الشعبية الجزائرية تحديدا، فالدرويش في المجتمع الشعبي هو الشخص الذي يعاني تخلفا ذهنيا منذ ولادته، وهو مسالم لا يميل إلى العنف، ويشاع حوله العديد من الخرافات. لذلك يعرف الدرويش بأنه المجنون المسالم الذي يشكل وجها سريا من وجوه الله[1].

أما المجنون فهو أيضا شخص يعاني من تخلف ذهني أو مرض عقلي منذ ولادته أو قد يعرض له بعد مدة من العمر، لكنه لا يكون مسالما دائما وإنما قد يكون عنيفا أحيانا أو غالبا.

ثالثا: المفارقة واللامعقول في كلام المجانين والدراويش

إن الواقع الاجتماعي والسياسي الذي نعيشه حكم على المجانين والدراويش بالثنائية المتجلية في المفارقة الكامنة بين ظاهر الحال سواء أكان تصرفات، وأفعال وملابس، والذي يدل على قصور مستواهم العقلي أو انعدامه، وبين الباطن المتجلي في منطوقات ذات طابع حكمي ووعظي يحمل سخرية ونقدا أحيانا، ويكشف عن ذكاء لافت للمجنون أحيانا أخرى. وهذا التناقض الذي تحمله المفارقة بين مظهر المجنون والدرويش البالي والرث، والمزري، وبين باطنه الواعي الذي يكشف عنه كلامه، يجعل كلام المجانين والدراويش يدخل في مجال اللامعقول.

لهذا جمعنا مدونتنا هذه الخاصة بكلام المجانين والدراويش لنعتمدها كحقل دراسي إضافة إلى بعض ما اخترناه من أخبار المجانين الواردة في كتب التراث العربي قصد الوقوف على مفارقاتها، ومواطن اللامعقول فيها.

---

[1]– ينظر: ميشيل فوكو، مقدمة كتاب: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2006، ص13.

1- المفارقة:

لسنا بحاجة إلى استعراض ما قيل آنفا في تعريف المفارقة، لأنها على الرغم من تعدد المنازع الفكرية التي انطلقت منها هذه التعريفات، فهي لا تخرج عن إطار الفكرة التي أشار لها (ميويك) من أنها "قول شيء بطريقة تستثير لا تفسيرا واحدا، بل سلسلة لا تنتهي من التفسيرات المغيرة".[1]

ولعل استراتيجية توظيف المفارقة قامت على غرض النقد أو الهجاء أو السخرية من الآخر لغرض الاستخفاف به فجوهر المفارقة –على العموم– هو التناقض بين ما يقال أو يضمر، وبين ما هو الحال عليه.

وبالحديث على المفارقة في كلام المجانين، والدراويش نجد الكثير من تلك المفارقات التي لا نكاد نطوي صفحة كتاب يعني بجمع أخبارهم إلا عثرنا على مفارقة ينطوي عليها كلام أحد هؤلاء المجانين مع الآخر (العاقل)، وهذا ما لاحظناه أيضا في كلام المجانين، والدراويش الذي جمعناه من مجتمع البحث ولذلك قمنا بتصنيف المادة التي جمعناها إلى مواضيع، وتيمات حتى نتمكن من الوقوف على المفارقة فيها.

أ- النقد السياسي والاجتماعي:

إن دراسة المفارقات السياسية والاجتماعية عند الأصحاء شيء بديهي، ومسلم به لأن الكلام صادر عن ذات واعية، وعقل مستيقظ، فنيته وقصده وإيحاؤه، وتلميحه ومراوغته خاصيات العقلاء، كما أن الوعي السياسي، والاجتماعي ضرورة ثقافية لديهم، لكن صدور هذه الميزات عن المجنون والدرويش أمر مستبعد، وإن حصل فيشكل مفارقة وهذا ما نسعى لكشفه من خلال تيمات هذا الموضوع.

- **الإعلام السياسي (الأخبار السياسية):** لقد لفتت الأخبار السياسية التي تملأ صفحات الصحف والجرائد بما تحمله من كذب، ومراوغات سياسية نظر الخاصة، والعامة ومنهم المجنون فجهر بالنقد الكاشف لها الذي لا يجامل ولا يتستر ولا يداري، ومن ذلك أن مجنونا

[1]– د. سي. ميويك، المرجع السابق، ص 161.

كان يحمل سمكتين في ورقة جريدة مما أدى إلى تمزقها وسقوط السمكتين، وهو أمر طبيعي إذ ليس لورقة الجريدة قدرة على تحمل دهون السمك ولزوجته، وطراوته فقال: "قنطار كذب هزيتو وحبتين حوت ما قدرتلهمش".[1]

يشير المجنون من خلال كلامه هذا إلى عدم صدق الأخبار الواردة في الجريدة، وهذا فعلا ما يحدث في الوسط السياسي، فكم الكذب وافر مقارنة بكم الصدق، لهذا فالجريدة لها القدرة على حمل الأكاذيب، ولكنها تعجز عن حمل الصدق. وفي قول المجنون هذا تتجلى المفارقة وذلك بسخريته من الإعلام السياسي، فقد وقف على علّة هذا الإعلام الذي تتخذه السلطة وسيلة للسيطرة على الشعوب التي تنشد السلام، والطمأنينة بتلبية مطالبها من خلال أخبار كاذبة لتهدئتها.

- **الاحتجاج:** إن ظاهرة الاحتجاج في جوهرها تعبير عن توتر العلاقة بين الشعب والسلطة، أو بعبارة مخففة شكل متشنج من التواصل بين الطرفين. جاء نتيجة لعدم وفاء الدولة بوعودها الدستورية، والسياسية التي وعدت بها الشعب، وعجزها عن تحقيق العدالة مما يضطر الشعب البسيط إلى الاحتجاج بطريقة غير سلمية حتى ينال حقوقه. وقد بلغ المجنون درجة من الوعي برداءة النظام السياسي جعلته ينتقده بطريقه ساخرة، ومن ذلك أن شخصا كان يبحث عن ابنه الضائع فطلب منه مجنون أن يشعل إطار عجلة حتى يجده.[2]

يثير رد المجنون الضحك، فالبحث عن ولد ضائع لا يحتاج إلى الاحتجاج، وإتباع طرق غير منظمة للعثور عليه. لكن المفارقة تظهر في نقد المجنون اللاذع للنظام السياسي الذي يعجز عن تلبية أبسط حقوق المواطن، مما يضطره إلى الاحتجاج.

- **الظلم والاستغلال:** إذا ما نظرنا إلى مجتمعنا المحلي نجده يعاني في عمومه من الجهل بالقوانين والأنظمة. مما أدى ببعض التابعين لجهاز السلطة إلى استغلال جهل المواطنين، وإساءة تطبيق القانون إما لأغراض شخصية أو للاستمتاع بإذلال البسطاء. فهذا الشرطي الذي يمثل الجهاز القانوني، أو الدولة يجرم الشيخ وحماره ويلزمه بغرامة مالية، ويزعم أنه

---

[1]– المدونة (ك– م)، رقم 01، ص105.

[2]– المدونة (ك– م)، رقم24، ص109.

ارتكب مخالفة وقد يغض الطرف على مخالفات أحق بالمتابعة لهذا يذكره المجنون بواجبه قائلا للشيخ: "طلع الكاروات (نوافذ السيارة) وسوق ما تراعيلوش (لا تعره انتباها)"[1]

يتجلى في قول المجنون هذا مفارقة مضحكة، وذلك بسخرية المجنون من الشرطي الذي يقتضي عمله محاسبة أصحاب السيارات على المخالفات التي يرتكبونها، فوقف بذلك على علته المتمثلة في ظلم المواطن البسيط، واستغلاله لجهله، ولذا سخر منه بطلبه من العجوز أن يغلق نوافذ العربة التي شبهها بالسيارة ويسوق، مما أوقعه في الفخ والمفاجأة منتبها إلى غفلته وما وقوعه في الضحك إلا لوقوعه في الورطة.

- **سوء التسيير**: من نتائج النظام السياسي الفاسد في الدول العربية سوء التسيير، والذي من مظاهره اعتماد هذه الدول في سياستها الاقتصادية على الاستيراد مما جعلها دولا استهلاكية أكثر منها منتجة. وهذا الوضع أثار انتباه المجنون وأقلقه، ولذلك قال: "الدولة بالبابر، ونحن بالمغارف وسبقناها"[2]

فالمجنون ظاهريا ينوه بجهود الدولة المبذولة في توفير الغذاء لشعبها، ويلوم الشعب على استهلاكه غير الراشد، لكن المفارقة أن سوء التخطيط وغياب استراتيجية سياسية واقتصادية رشيدة وواعية من قبل الدولة هو السبب في هذه الأزمة.

والمفارقة الثانية أن الاستهلاك الكبير هو نتيجة النمو الديموغرافي المرتفع وغير المقنن والذي تتخذه السلطة حجة لتبرير عجزها في تلبية حاجيات شعبها، مما يضطرها إلى الاعتماد على سياسة الاستيراد.

ومن مظاهر سوء التسيير أيضا أزمة المواصلات، التي كثيرا ما تعاني منها الدول العربية، وخاصة على مستوى القرى والمدن الصغيرة، وهذا ما صورته سخرية المجنون من ذلك

[1]– المدونة (ك –م)، رقم 07، ص106.

[2]– المدونة (ك –م)، رقم 05، ص106.

الرجل صاحب الجمجمة الطويلة الذي وجده عند الحلاق بقوله: ما زلت هنا والازدحام في المحطة.[1]

والمفارقة هنا لا تتجلى في سخرية المجنون وتهكمه بالشخص صاحب الرأس الطويل، وتشبيه رأسه بالحافلة، بل في وقوفه على أزمة المواصلات التي تعاني منها مدينته بطريقة تلميحية ساخرة، فالمدلول الحرفي للكلام مفارق لما هو مراد من كلام المجنون.

- **الطبقية:** يظهر المجنون أحيانا من خلال كلامه حاملا لأفكار وتساؤلات أملتها عليه التناقضات التي يراها في واقعه من تبدل القيم، وتفشي الظلم الواقع على الفئات الاجتماعية المهمشة نتيجة تضخم الثروات عند فئات محدودة، فيبدي كلامه انتقادا لذلك الواقع الذي أدى بفئة من الناس إلى العيش على هامش الحياة، في حين تتسع الحياة وترغد لقليل من الناس – خصوصا الحكام والرؤساء – الذين عاشوا بترف ولم يمسهم ألم الجوع، ومن ذلك أن أحد المجانين شوهد يحمل علبة مرطبات، والتي كانت بالنسبة للعامة آنذاك شيئا جديدا ومجهولا، فسأله الناس ماذا تأكل فرد أنه: "براز بومدين"[2].

صحيح أن هذه الإجابة من المجنون تثير الضحك إلا أن هناك من صدق كلامه، وهنا تكمن المفارقة التي أراد المجنون أن يلمح لها، وهي أن الكثير من العامة يعتقدون أن الحكام، والطبقة الغنية مختلفة كليا عن الطبقة البسيطة حتى في طبيعة جسمهم، فرقي المستوى المعيشي نتج عنه رقي في مستوى الفضلات.

حملت هذه العبارة التي أنتجها المجنون سخرية، ونقدا للسياسة القائمة، والتي لم تستطع تحقيق العدالة الاجتماعية من جهة، ومن جهة أخرى سخرية ونقدا للشعب الذي ساعد بجهله السياسة الفاسدة على الاستمرار.

- **الفقر:** ثنائية الفقر والغنى، واختلاف المستوى المعيشي بين الناس، والمجتمع لم تغب عن الحضور في كلام الدراويش والمجانين وهذا ما يشكل مفارقة، فالمجنون رغم أنه طلق

[1]– المدونة (ك–م)، رقم 06، ص106.

[2]– المدونة (ك –م)، رقم 03، ص105.

الناس وحياتهم، وآثر الانزواء والعزوف عنهم إلا أنّه لم ينس أوضاعهم المزرية التي يعيشونها. ومن ذلك أن مجنونا دخل أحد دكاكين قريته وكانت هناك جماعة تتسامر فطلب منهم واحدا من وسط (سيجارة) فقالوا: لا يوجد، فقال هاتوا رفعة (الطابة) * فقالوا: لا يوجد، فقال: "لا يوجد عندكم شيء وعند بوغوفة* الكبش على زوز"[1].

تؤكد هذه العبارة اهتمام المجنون بتباين الأوضاع الاجتماعية في وطنه، فتلك العينة التي قصدها المجنون والتي كانت تجلس في الدكان ولا تملك شيئا ما هي إلا رمز مصغر لحالة الناس في قريته، وبالتالي حالة المجتمع القروي بكامله، والتي تتميز بالفقر المدقع، وسوء الأحوال، والظروف مقارنة بالمستوى المعيشي في المدينة، وظروف مجتمعها الحسنة، والتي رمز لها "ببوغوفة" التاجر الغني بمنطقة تقرت آنذاك والذي وصل به حد الرفاهية إلى المبالغة في ولائمه، فالكبش عنده يقسم على مدعوين اثنين. لكن المفارقة تظهر في إشارة المجنون إلى ذلك البون الواسع والفرق بين المستويين مستوى معيشة أهل القرية، ومستوى معيشة أهل المدينة.

- **الطمع:** مظهر من المظاهر الاجتماعية المذمومة، انتقدها المجتمع الشعبي في حكاياته وأشعاره، وأمثاله الشعبية (الطماع يغلبوا الكذاب)، وقد انتبه لهذه الصفة المذمومة الدرويش، لكونه الزاهد الذي عزف عن الدنيا وملذاتها، ولكن الناس يعتقدون طمعا فيه أن له ملك مفاتيح خزائن الدنيا، وأسباب الرزق التي افتقدها لنفسه وهذه مفارقة. ونذكر في هذا الموضع أن أحد الأثرياء إلى يومنا هذا ما زال يحتفظ بمبلغ زهيد "أربعة دورو" – عملة قديمة تعادل عشرين سنتيما حاليا –في بنكه الخاص لأنه يعتقد أنها جالبة الحظ والرزق، وأن كل أمواله التي يملكها كانت بسببها، لأنها هبة أعطاه إياها درويش مبارك في يوم مبارك حسب اعتقاده طبعا.

---

*– الطابة: نوع من التبغ يوضع في اللثة.

*– بوغوفة: أحد الأثرياء.

[1]– المدونة (ك– م)، رقم 08، ص106.

ولهذا نجد أحد الدراويش يرد على من قدم له مبلغا ماليا بابتسامة عريضة "تحسبها ديما حاكمة"[1] حقا الأمور متقلبة، ودوام الحال من المحال، والفرصة تأتي مرة واحدة في العمر وقد لا تتكرر، وهذا أمر طبيعي، لكن ابتسامة الدرويش ورده يوحيان بأنه على علم بما حدث للرجل حين وجد كيس المال وأن الرجل عاد يبحث عنه طمعا فيه، والمفارقة أن الرجل اعتقد فعلا أن الدرويش هو السبب في رزقه لذلك غلبه طمعه، وعاد مرة أخرى لعله يحصل على رزق أوفر.

- **الكسل والخمول:** طالما كان الإنسان الكسول محط انتقاد، وسخرية حتى من أقرب الناس إليه، وبما أن المجنون لا يواري ولا يكذب فقد انتقد هذه الصفة غير المحببة، ولمح لها في كلامه.

ومما يحكى في المجتمع عن "الزنقلى" المجنون أنه كان يتوسط جماعة فإذا برجل من سكان قريته يمر وهو يحمل بيده إناءا به غذاؤه (كسكس) ويتوجه إلى العمل في غابته فأشار إليه المجنون قائلا: "ما يجي يكمل خدمتو كان يلقى الطعام (الكسكس) صوف (تعفن)"[2]

فالمجنون هنا يسخر من بطء الرجل في عمله، وتأخره في إنجازه، لكن المفارقة أن مدة العمل لن تكون طويلة إلى درجة تعفن الأكل، يحمل قول المجنون في مضمونه نقدا لصفة الكسل، والخمول التي اتصف بها الرجل.

من خلال هذه الأقوال التي حللناها نستنتج أن المجنون قد فضح بعض المظاهر السلبية في المجتمع. وعلى رأسها النفاق الاجتماعي، والنفاق السياسي، فإذا كنا نقول في الواقع العام (ما على المجنون من حرج) ونعني ما يقول وما يفعل، فقد استغل المجنون هذه الرحابة الاجتماعية، وهذا السماح الرقابي ليتخطى في كلامه خطوط المسموح به، والمستهجن والقبيح من القول ناقدا كل ما هو سلبي في المجتمع.

---

[1]– المدونة (ك–د)، رقم 31، ص 111.

[2]– المدونة (ك–م)، رقم 10، ص106.

ب- الذكاء والحيلة:

قد يظهر المجنون من خلال كلامه، وردود أفعاله ومواقفه ذكاءا وحيلة واضحين، رغم غياب عقله أو استتاره، وهذا ما سنحاول الوقوف عليه من خلال تيمات هذا الموضوع.

- **الحيلة:** أبدى المجنون القدرة على التصرف في المواقف الحرجة ومن ذلك أن "الزنقلي" المجنون كان يعالج في مستشفى المجانين، فصعد مجنون آخر إلى أعلى المستشفى وحاول الانتحار، وعندما عجزت الفرقة الطبية في إقناعه بالعدول عن رأيه نصح أحدهم بإحضار "الزنقلي" الذي نظر إلى زميله المجنون وقال له: "اهبط وإلا نفش بيك الحيط."[1] فخاف المجنون واستجاب للأمر دون اعتراض، وما استجابة المجنون الثاني إلا دليل على سذاجته، وذكاء المجنون الآخر وحيلته لكن المفارقة أن الجدار لا ينفش، وحتى إن حدث ذلك وأدى إلى سقوط المجنون فماذا سيضره في ذلك إذا كان أصلا يريد الانتحار.

يحمل قول المجنون هذا في مضمونه نقدا للفرقة الطبية التي عاملت المجنون معاملة العاقل وبالتالي عجزت في إقناعه بالعدول عن رأيه.

- **الفطنة:** ومن دلائل ذكاء المجنون فطنته وتنبهه لما يضمره العاقل، ومن ذلك أن شخصا التقى بمجنون كان يحمل كيسا ثقيلا ويلهث في يوم حار، فحاول الشخص مجاملة المجنون، لاتقاء شره بقوله: "كبيرة يا الزانقلي". ظنا منه أنه سيوافقه الرأي فإذا بالمجنون يعاكسه ويناقضه في الإجابة بقوله: "صغيرة برك."[2] فلقد قابل المجنون تهويل الشخص للموقف بتهوينه. وهذا ما أوقع المخاطب في موقف معاكس لم يكن يتوقعه، وبذلك نتجت المفارقة الموقفية فالمجنون برده هذا يلمح بوعيه، وذكائه للمخاطب، فهو يدرك مقصده جيدا، ويفهم مجاملته، ومتنبه، وفاهم لنيته، ولمحاولة استغفاله، وهذا ذكاء خارق يتمتع به المجنون.

- **الإقناع:** من النماذج التي يقف العقل البشري عاجزا أمام فك طلاسمها، قدرة بعض المجانين على إقناع العقلاء ودحض حججهم بالأدلة والبراهين، وخير دليل على ذلك الحوار

[1]- المدونة (ك-م)، رقم 04، ص105.

[2]- المدونة (ك-م)، رقم 15، ص107.

الذي دار بين "الطربوشي" مجنون الفطاحزة وإمام المسجد الذي رفض بناء المكان المخصص للوضوء تحت قاعة الصلاة، لكن الطربوشي استطاع أن يقنعه بكل جرأة، وبالحجج الموجودة التي أذهلت إمام والحاضرين، حيث انطلق الطربوشي في حوار ممنهج من العام إلى الخاص، مع ربط الأسباب بالنتائج وخلص في الأخير إلى حل المشكلة بقوله: أين يوجد القرآن الذي تحفظه؟ فأجابه الإمام في صدري، فبادره الطربوشي بسؤال آخر فاجأ الجميع وكسر كل التوقعات وأوقع الجميع في مفارقة موقفية محرجة بقوله:

وماذا يوجد تحته؟ (وهو يشير إلى بطنه)[1]. فعنصر المفاجأة وقوة الحجة أحدث المفارقة، فالمجنون استطاع أن يصل إلى الحل الذي عجز العقلاء عن الاهتداء إليه.

وقد يستعين المجنون بمعرفته الدينية حتى يحاجج الآخر (العاقل)، ويتخلص من إحراجه له بأسئلته واستفساراته، ومن ذلك أن مجنونا سئل لماذا لا تصلي؟ فأجاب: "ها هو ربي قال ويل للمصلين"[2]

وهذا الرد من المجنون يثير الضحك، ويفاجئ السائل، إلا أن المفارقة لا تكمن في معرفة المجنون وحفظه للآيات القرآنية، وإنما تكمن في كسر توقع الآخر (العاقل) لصورة المجنون النمطية ذات الدلالة السلبية، فيظهر المجنون من خلال رده هذا مزودا بسلطة المعرفة التي تمكنه من محاججة العاقل، وإن كانت ذات مفهوم خاطئ.

- **حسن التخلص:** بعض المجانين لهم القدرة على التخلص من المواقف الحرجة، وهذه مفارقة يلعب الذكاء فيها دورا كبيرا في النجاة من المآزق، ومن ذلك أن درويشا كان كلما حاصره فتيان القرية واعترضوا سبيله لا يسمحون له بالدخول إلا إذا أجاب عن السؤال المطروح: قرية أعمامك أحسن أم قرية أخوالك؟ فيجيب: "قرية أعمامي مسلم لصلاحها ومآليها، وقرية أخوالي رابح صلاحي فيها."[3]هذه الإجابة الذكية من الدرويش أثارت ضحك

[1]– ينظر: أحمد زغب، في العلاقة بين المدنس والمقدس، www.diwanalarab.com، لوحظ في 2019/04/16م.

[2]– المدونة (ك–م)، رقم 32، ص111.

[3]– المدونة (ك–د)، رقم29 ص110.

الفتيان وفاجأتهم، وبذلك يعترفون ضمنيا بذكائه وحسن تخلصه من ذلك الموقف المحرج. فالدرويش حسب معرفتهم بحالته لا يهتدي لمثل هذه الإجابة لكنه خالف توقعهم، وأجاب بالصواب وكسب رضى الفريقين مشكلا مفارقة، وبذلك سمحوا له بالمرور.

ومن الأخبار التي تثبت أيضا ذكاء المجنون، وحسن تخلصه من المواقف المحرجة أن مجنونا مرّ بجماعة كانوا يبنون مسجدا، فوقف معهم برهة من الزمن فأحسنوا ضيافته، وبعدما أكل وشبع قال لهم: "أنا خدام وباغي ندير الخير بصح حجركم ثقيل ما نقدرلوش"[1].

ومع أن المجنون كان بإمكانه الانصراف دون تبرير فلا أحد في المجتمع ينتظر مساعدة من مجنون إلا أن تبريره هذا فاجأ العمال لأنهم لم يتوقعوا منه هذه الإجابة الذكية، فظاهر كلامه يخالف باطنه وحسن التخلص هذا أحدث المفارقة، فهو يريد أن يقول أنا لست متطفلا، وأحب العمل لكن لا طاقة لي بحجارتكم الثقيلة.

من خلال هذه التيمات المذكورة نستنتج أن المجانين لم يخضعوا جميعا للتمثيل الذي شكلته الثقافة العربية الشعبية عن المجنون، وحمقه، وسذاجته وعدم وعيه، وقد ظهر في بعض الأخبار المتداولة عنهم مفارقات تثبت ذكاء بعضهم وحيلته.

ج- التهكم والسخرية:

التهكم والسخرية عناصر أساسية في المفارقة، ونلاحظ أن المجنون كثيرا ما يعمد إلى توظيفهما في كلامه مما يوقع المتلقي ضحية.

فالمجنون يسخر من الكسلاء ومن أصحاب الرؤوس الطويلة، ومن المجانين أمثاله، ومن السياسيين، ومن رجال القانون، ومن الأئمة، والطماعين...و من كل شيء، فالكل في نظره مرضى وعرضة للسخرية، وكأنه هو الوحيد السليم، والمعافى. وهذه حقيقة فالمجنون هو البطل الذي لا يتحداه عاقل، كل هذا يبدو طبيعيا لكن ما هو ليس طبيعي أن تهكمه وسخريته وسائل للوصول إلى غايات أخرى إيحائية ورمزية فتهكمه وسخريته من الرجل الطويل الرأس حينما

[1]- المدونة (ك-د)، رقم 30، ص110.

قال له: "أنت هنا والدحس في السانتفي (محطة الحافلات)."[1] فالرجل فعلا رأسه طويلة، وهذا ظاهر للعيان لكن قصد المجنون كان أبعد من ذلك فهو يلمح إلى أزمة حقيقية يعيشها المواطن آنذاك، وهي أزمة المواصلات التي شكلت معاناة كبيرة للمسافرين وهذا القصد يشكل مفارقة كما أشرنا سابقا.

ومن النصوص التي تصور سخرية المجنون، واستهزاءه بالآخر المدعي للعقل، وتكشف عن سلوكه غير المسؤول إزاء المجنون، ما ذكره النيسابوري أنه "مرّ عبدان المجنون يوما بقوم من بني تيم الله بن ثعلبة، فعبثوا به وآذوه، فقال: يا بني تيم الله ما أعلم في الدنيا خير منكم. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: بنو أسد ليس فيهم مجنون غيري وقد قيدوني، وسلسلوني، وكلكم مجانين ليس فيكم مقيد واحد"[2]

فالمجنون يهزأ، ويسخر من تصرف بني تيم الله معه ويريهم أنهم بتصرفهم هذا لا يختلفون عن المجنون بشيء، ولكن المفارقة تكمن في أنه مقيد بالسلاسل وهؤلاء القوم لم يقيد أحد منهم.

لا يفوتنا ونحن نقف على اعتراض "عبدان" المجنون على تصرف بني تيم الله معه، أن نشير إلى أن الكثير من الأقوال التي وردت عن المجانين والتي تحمل سخرية واضحة من العاقل، تصرح بشكل واضح أن المجنون لا يرى نفسه مجنونا، بل بالعكس فهو يرى الآخر مجنونا.

د- العظة والنصيحة:

تصدر العظة، والنصيحة عادة من الأئمة، وأهل العلم وذوي الخبرة، وهذا شيء طبيعي، ومنطقي، لكن عندما تصدر من المجانين فهنا تكمن المفارقة.

وقد ورد عن أحد المجانين أنه نصح صديقه المجنون قائلا:" قل لأهلك يجرو عليك قبل ما تطفر فيك"[3]

---

[1]- المدونة (ك-م)، رقم06،ص106.

[2]- النيسابوري، المصدر السابق، ص 70.

[3]-المدونة (ك-م)، رقم09، ص 106.

فالمجنون هنا يأخذ دور العاقل وينصح صديقه نصيحة اشفاق، وخوف على مصيره، بأن يطلب من أهله علاجه من حالته تلك قبل فوات الأوان، وقبل أن يتمكن منه الجنون، لكن المفارقة أنه هو الآخر مجنون ويحتاج إلى علاج.

وفي قول الدرويشة "تلوخة" للرجل الذي ضرب زوجته " لي يحشي يحشي الغرس، ولي يلم، يلم العرش، ولي يحوس على الأدب يروح للدرس"[1]. تظهر لنا براعة هذه الدرويشة في توظيف مفردات اللغة العادية، واليومية، في خطابها مشكلة كنايات تتطلب إمعان العقل لفهمها فقول الدرويشة" لي يحشي يحشي الغرس" تقصد به أن خير زاد يتزود به هو التمر، والمرأة تشبه بالغرس في الشعر الشعبي، لذلك فخير زاد له في الدنيا هو زوجته.

أما قولها " لي يْلمْ يلم العرش" فهو إشارة إلى ضرورة حفاظه على علاقته بأهلة وأقاربه، وزوجته من أقاربه فهي ابنة عمه.

أما قولها "لي يحوس على الأدب يروح للدرس" فهي تقصد أنه لابد من تعليم زوجتك حسن التصرف، والأدب قبل أن تلومها وتضربها.

وتأتي المفارقة نتيجة لهذه الكنايات وهي توجيه النصيحة للرجل بالحفاظ على زوجته التي لا يملك أحدا في الدنيا سواها.

هـ- التنبؤ بالغيب:

التنبؤ ببعض الأحداث الايجابية، أو السلبية أمر مبني على الربط بين الأسباب والنتائج عند العقلاء، لكن المجانين والدراويش رغم قصور عقلهم عن الربط والاستنتاج يتنبؤون أحيانا ببعض المغيبات، والتي غالبا ما تتجسد في الواقع، مما يجعل العقل البشري يقف عاجزا عن إدراك ذلك، رغم أنّ ابن خلدون لم يلغ عن المجنون، والبهلول إمكانية التنبؤ بالغيب في قوله: " كذلك المجانين يلقى على ألسنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها."[2] وقد لاحظنا أن معظم الأقوال التي جمعناها عن الدراويش تتنبأ بالغيب، ومن ذلك أن درويشا اسمه سيدي

[1]- المدونة (ك-د)، رقم25، 110.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص218.

"بودور" جاء إلى امرأة اسمها "روبا" وأنبأها بمواصفات كنتها المستقبلية بقوله: " روبا جاتك هدية كي البتية تتركب من السمدية"[1].

فالدرويش يصف كنة المرأة المستقبلية بأنها هدية مفاجأة لها، والتي ستكون في الحقيقة سوداء البشرة وهذا طبعا سيكون صادما للحماة، لكن المفارقة هنا أن هذه الهدية لن تكون سارة بالنسبة للمرأة على خلاف ما هو معروف، فالمجتمع الشعبي مازال ينظر للسود نظرة تمييز. لذلك فإن هذه الهدية التي أشار إليها الدرويش ستكون صادمة للمرأة بدلا من كونها سارة، ومفرحة.

ويمكن القول أن المفارقة تولدت أيضا من التباين الواسع بين اللغة التي استخدمها الدرويش وبين محمولها، فاللغة هنا لها سياقها ومجالها- الهدية غالبا تجلب السرور والفرح- اللذان لا يشير إليهما مضمون الكلام.

بعد دراسة الأقوال التي تتضمن التنبؤ بالغيب عند الدراويش نخلص إلى أن المفارقة في أغلبها تتولد من التباين الواضح بين المظهر والموقف، إذ يستبعد كل من يرى الدرويش ويعرف إمكانياته العقلية قدرته على التنبؤ بالغيب. لكن المفارقة تحدث حينما يصدق كلامه ويتحقق فعلا.

و- العدائية:

قد يحمل كلام المجنون نزعة عدائية واضحة تنامت في لاوعيه جراء ما يعانيه من أذى المجتمع.

ومن ذلك أن أحد المجانين كان كثيرا ما يسخر منه الأطفال، وحتى بعض الكبار ويعيرونه، فرد على الشخص الذي ناداه عمي وعيّره بقوله: "يعطيك عمى في جامع"[2]

يبين رد المجنون هذا مدى غضبه ممن يسخرون منه إلى درجة أن يدعو الله بأن يصيبهم العمى، لكن المفارقة هنا تظهر في اختيار المجنون لمكان العمى والذي حدده بالمسجد، وذلك لأن المسجد كما هو معروف مليء بالأعمدة بحيث أن الذي يصاب بالعمى داخله سيتعرض للأذى أينما توجه بسبب اصطدامه بتلك الأعمدة.

---

[1]- المدونة (ك-د)، رقم 12، ص107.

[2]- المدونة (ك-م)، رقم 13، ص107.

وفي جواب المجنون هذا نستشف غضبا، وإدانة واضحين للمجتمع الذي أدى به بعض أفراده إلى التصرف بعدائية حتى في كلامه.

2- اللامعقول:

يعد المعقول واللامعقول في كلام المجانين والدراويش من أهم الظواهر التي وقفنا عليها ضمن نماذج المدونة، وتجلى المعقول في الكلام الذي تضمن حكما يطابق مضمونها المنطق والواقع تدعونا للتسليم بها وفق القول المأثور (خذ الحكمة ولو من أفواه المجانين) وتحيلنا هذه العبارة على قول الرسول صلى الله عليه وسلم "الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها".[1]

فالدرويشة التي تقول: "شفت السراب يلوح دفقت مايا يا عمايا."[2] كلامها منطقي فالإنسان الذي ينخدع بالمظاهر الكاذبة، ويتسرع في أخذ القرارات إنسان أعمى العين، والبصيرة، وما ذهب إليه الطربوشي في إقناع الإمام أمر معقول، وما إجماع المصلين على رأيه وإعجابهم به إلا لمعقوليته. إلا أن هناك نماذج عديدة لم تسلم من اللامعقول لأن مضمونها يناقض العقل والواقع، ومبادئ المنطق الذي لا يقبل التناقض. فالجدار لا ينفش لكن "الزانقلي" حسب كلامه حائطه ينفش كما تنفش العجلة، والعجيب أن المجنون الثاني صدقه، ونفذ الأمر حين سمع قوله: "اهبط وإلا انفش بيك الحيط"[3]

فهذا كلام لا يصدقه إلا المجانين. كما أن كلام المجنون نفسه –الزانقلي– ورده على الشرطي بقوله: "سوق وطلع الكاروات ما تراعيلوش"[4] مخاطبا الشيخ صاحب العربة يدل على أن المجنون يشبه العربة بالسيارة ذات الزجاج والنوافذ وهذا كلام بعيد عن المنطق.

---

[1]- الترمذي: الإمام الحافظ أبو عيسى محمد، الجامع الكبير، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م، مج4، رقم الحديث 2687، ص 418.

[2]- المدونة (ك-د)، رقم26، ص 110.

[3]- المدونة (ك-م)، رقم04، ص 105.

[4]- المدونة (ك-م)، رقم07، ص106.

وقول المجنون مخاطبا الشخص الذي أراد قتل العقرب "لا تقتلها، هاد العقرب عندها الباك."[1] دليل واضح على عدم عقلانية كلام المجنون، فكلامه لا يخطر على بال، فالعقرب علميا لا تحمل سوى الإبرة السامة المخصصة للسع دون غيرها، لكن عقرب هذا المجنون متعلمة، وتحمل شهادة البكالوريا، وهذا كلام غير معقول ولا يصدر إلا عن المجانين.

كما أن القباحة أو الكلام القبيح حسب رأي المجنون. وهذا كسر لكل الأعراف، والقوانين والشرائع، والآداب العامة، ولكل شيء مقدس، ينتج عنه إنجاب الأولاد، فالزواج، وإنجاب الأولاد بالنسبة للمجنون مجرد "قباحة"، فالولادة نتيجة القباحة هكذا يرى المجنون، فالحلال والحرام حسبه سيان، وكلامه هذا يدل على عدم تمييزه بين الرشد والغي، كما أنه يناقض رؤية الأديان للزواج ولهذا قال للشيخ: "لولا القباحة أنت من أين جئت؟"[2]

وحمزة النموذج الذي يذهب إلى الأعراس، وينعي الموتى ولا يلتزم بمقتضى الحال، فالعقل السوي لا يقبله. فالمنطق يستوجب مراعاة لكل مقام مقال، وقوله "العاقبة للي مازال."[3] ويقصد بها الموت، وهو في حفل زفاف، والعامة في العادة تقولها ولكن بمقصود يخالف مقصوده، فإذن فقوله تناقض لا يقبله العقل.

أما الأقوال التي تحمل تنبؤا بالغيب، والتي لاحظنا أن مصدر أغلبها الدراويش، فهي تبدو لسامعها، أو قارئها منطقية جدا. فالدرويش الذي جاء إلى المرأة وقال لها: "...راهم جايينك زوج أولاد على رأس بعضهم الأول اسمه علي... والآخر اسمه أحمد."[4] يبدو كلامه للوهلة الأولى منطقيا، وألفاظه غير متناقضة، لكن المرأة لم تكن حاملا، ثم حتى وإن كانت كذلك ففي ذلك الزمن من كان سيضمن لها بأنها ستنجب أولادا ذكورا؟

---

[1]– المدونة (ك–م)، رقم 14، ص107.

[2]– المدونة (ك–م)، رقم 02، ص 105.

[3]– المدونة (ك–د)، رقم 28، ص 110.

[4]– المدونة (ك–د)، رقم 11، ص 106.

إذن فكل هذا الكلام مجرد تنبؤ بالغيب، والتنبؤ بالغيب في حقيقة الأمر "هو ما لا نعتمد في إدراكه على الحواس، فلا يدخل في دائرته استنباط النتائج من مقدماتها ومعرفة المسببات من أسبابها بطريقة الاستدلال، وقياس ما غاب بما حضر"[1]

وعدم استنباط النتائج من مقدماتها بطريقة الاستدلال يناقض مبادئ العقل كما ذكرنا آنفا، مما يجعل التنبؤ بالغيب يدخل في مجال اللامعقول، وبالتالي فكلام الدراويش الذي يحمل تنبؤا بالغيب لا معقول بكل تأكيد.

بالإضافة إلى أن أكبر تناقض يمكن الوقوف عليه في كلام المجانين والدراويش هو ظاهرة المفارقة، والتي وقفنا عليها في عدة نماذج من كلامهم. والمفارقة تعد لغة العقل والفطنة، لكن المجنون، أو الدرويش لا عقل لهما، أو أن عقلهما قاصر ومتستر. فهذا التناقض بين كلام المجانين، والدراويش وما يحمله من مفارقة وهي لغة العقل، وبين مصدرها اللاعاقل يجعل كلام المجانين والدراويش يدخل في مجال اللامعقول.

ولهذا نجد كلام المجانين والدراويش، وإن لامس المعقول في بعضه إلا أن أغلبه لامعقول فهو يتعارض مع مبادئ العقل، والتناقض في هذه الأقوال يظهر في لفظها، أو في مواقفها، أو في مصدرها.

من خلال تحليل مجموعة من الأقوال الواردة عن المجانين والدراويش، استطعنا وبالرغم من الصورة السلبية التي شكلتها الثقافة الشعبية لكل منهما، وبخاصة المجنون الوقوف على مجموعة من المفارقات سواء أكانت على مستوى القول، أم على مستوى الفعل. كما أن أقوالهم وإن لامست المعقول في بعضها، إلا أنها لا معقولة غالبا.

أيضا وجدنا أن كلام المجانين، والدراويش قد تناول موضوعات معينة، والتي يندرج تحتها هي أيضا تيمات محددة، وقد ركز أغلبها على النقد السياسي والاجتماعي.

[1]– أحمد الشنتناوي، التنبؤ بالغيب قديما وحديثا، دار المعارف مصر، (د.ط)، 1959، ص05.

خاتمة

بعد استعراض ما جاء في هذا البحث حول المفارقة واللامعقول في الثقافة الشعبية. خلصنا في خاتمته إلى جملة من النتائج الهامة نلخصها فيما يلي:

- يحتل السحر مكانة مهمة في المعتقد الشعبي، ويظهر في استخدامات مختلفة في وسائلها وغاياتها.
- إن الدافع الأساسي لممارسة السحر ليس دائما دافعا عدائيا يتوخى الضرر للآخرين، بل قد يكون غرضه مواجهة الأزمات التي تصادف الإنسان في حياته، وعلاقاته.
- تجلت المفارقة في الطقوس السحرية المدروسة في شكلين أساسيين هما:
  - المفارقة اللفظية: وتظهر في التعويذات السحرية.
  - مفارقة التنافر البسيط: وتظهر في التناقض بين المعتقد وحقيقة الطقس.
- يمثل السحر أعلى تجليات اللامعقول والتناقض مع العقل.
- تكشف المفارقة عن مدى المتناقضات، والمتنافرات التي تحفل بها الطقوس السحرية.
- تهدف المفارقة في السحر إلى التغطية على حقيقة الطقس، وذلك بتعزيزه برموز دينية.
- إن ممارسة السحر، والاعتماد على الفكر الخرافي كشكل من أشكال مواجهة المشاكل الاجتماعية هو في حد ذاته نشاط إنساني كان موجودا منذ القدم وبقي محافظا على استمراريته.
- تستمد الثقافة الشعبية من المرجعية الدينية الرسمية شرعية طقوسها الدينية الشعبية (الحضرة – كرامات الاولياء).
- الطقوس الدينية الشعبية (الحضرة الصوفية) تجمع بين المتنافرين المقدس والمدنس.
- الطقوس الدينية الشعبية (الحضرة) طابعها الاعتقادي بني على الجوانب الانفعالية الوجدانية للإنسان، ويلعب الخيال والخوارق والشعوذة دورا كبيرا في تجسيدها
- الطقوس الدينية (الكرامة والمعجزة) من الخوارق إدراكها بالعقل أمر عسير، فهي مما يستدل عليها بالوجدان والسمو الروحي لمعتقديها.

- تكشف كل من المفارقة، واللامعقول في الطقوس الدينية الشعبية عن الطبقات اللاواعية في أعماق النفس الإنسانية والتي تشكل فيها الأسطورة وعاءا لاستيعاب المخزون الديني الذي يؤسس للبعد الروحاني للإنسان، والذي لا يتمكن العقل بأدواته المنطقية من النزول إلى قاعه للإحاطة به. وفهمه.

- يكشف اللامعقول في كل من الطقوس السحرية، والطقوس الدينية الشعبية عن منتوج ثقافي أوجده اللاعقل لا يمكن إنكاره.

- يختلف مفهوم الدرويش عن مفهوم المجنون في ثقافتنا الشعبية. كما يختلف مفهوم الدرويش في كل من الثقافتين المغاربية والمشرقية.

- المفارقة من صنع العقل، وهذا ما يفتقده المجنون والدرويش لكنهما يصنعان المفارقة.

- المجنون والدرويش يسقط عنهما التكليف الشرعي والمتابعة السياسية والاجتماعية، وهذه حوافز لاختراق المألوف والتعبير بجرأة، و فرصة للتهكم والسخرية محروم منها العقلاء.

- المفارقة عند المجنون مفارقة ساخرة، وناقدة بالدرجة الأولى.

- تصور لنا المفارقة في كلام المجانين مدى وعي المجنون ليكسر بذلك الصورة النمطية السلبية التي رسمتها له الثقافة الشعبية.

- منطوقات المجانين والدراويش هي مكنونات العقلاء ورغباتهم الكامنة بداخلهم، وفي أعماقهم طفت على السطح، وصرح بها المجنون بلسانه، وأظهرها للناس باللون الأبيض والأسود دون زخرفة ولا مجاملة، ولا مداهنة.

- يصور لنا اللامعقول في كلام المجانين والدراويش نظرة كل منهما ورؤيته للأشياء.

- إذا كانت المفارقة في كلام المجانين تكشف عن مدى وعي المجنون، فإن اللامعقول في كلامهم يظهر عدم وعيه ومحدودية نتاج عقله المحدود أساسا.

- دراسة المفارقة في كلام المجانين والدراويش تظهر لنا صورة مختلفة عن كليهما، بحيث يتجاوز بها كل منهما هامشيته، ومحدودية تأثيره.

- لا يعتقد الممارسون للطقوس السحرية، والطقوس الدينية الشعبية بعدم منطقية هذه الطقوس، ولا معقوليتها.

- إن المفارقة واللامعقول مظهران من مظاهر الثقافة الشعبية، يتجسدان في بعض جوانبها مثل: الطقوس الدينية الشعبية، وكلام المجانين والدراويش، والممارسات السحرية، وقد عكست دراستهما جوانب وجدانية، وثقافية واجتماعية للمجتمع.

وأخيرا وليس آخرا، نتمنى أن يكون البحث قد حقق مبتغاه في تبيان أن دراسة المفارقة واللامعقول في الثقافة الشعبية تكشف لنا جوانب خفية من المجتمع. كما نرجو أن يفتح هذا العمل وهذه المحاولة آفاقا جديدة نحو أبحاث مستقبلية تسلط الضوء أكثر على زوايا أخرى في البحث نعتقد أنها بحاجة إلى التعمق والتخصص الدراسي.

المـــدونـــة

كلام الدراويش والمجانين

***المورد: محمد الصالح بن لعروسي**

من بين المجانين العقلاء الذين مازالت أخبارهم وكلامهم يتداول بين العامة والخاصة بمدينة " تقرت " " الزانقلي ".الذي عاش إلى أواخر الثمانينات من القرن الماضي. يروى عنه أنه كان يقضي نهاره بالمدينة، وليله بالقرية "الزاوية العابدية". كان مجنونا لكنه اتصف بالذكاء والمرح وروح النكتة، والكلام الصائب. فأحبه الجميع رغم خطورته أحيانا ومن بين ما يروى عنه:

1- "قنطار كذب هزيتو وحبتين حوت ما قدرتلهمش". وقصة ذلك أنه وضع ذات يوم سمكتين في ورقة الجريدة، فتبللت وسقطت السمكتان منها، فنظر إلى الورقة قائلا: "**قنطار كذب هزيتو وحبتين حوت ما قدرتلهمش.**"

2- كان "الزانقلي" في يوم صيف يتمشى في أزقة القرية، وإذ بالأطفال يجرون وراءه يضربونه بالعصي، ويرشقونه بالحجارة، فينهال عليهم بالسب، والشتم الأمر الذي أزعج الشيوخ الذين كانوا يجلسون في الشوارع احتماءا من الحرّ، فناداه أحد الشيوخ وقال له : لماذا تقبح يا الزانقلي فهذا عيب، فنظر له الزانقلي وقال له القباحة عيب؟ فقال الشيخ :نعم عيب. فبادره الزانقلي قائلا: "**و أنت منين جيت؟**"

3- أحضر "الزانقلي" مساء أحد الأيام مرطبات إلى سوق البلدة (سوق شعبي) وكانت المرطبات في تلك الأيام مجهولة لا يعرفها الكثير من الناس .فالتف الناس حوله يسألونه ماهذا يا الزانقلي؟. فيجيبهم على الفور "**هذا هو براز الرئيس يقصد الرئيس هواري بومدين**"، والناس بين مصدق ومكذب.

4- من القصص الطريفة التي تحكى عنه أن مجنونا أخر صعد إلى أعلى المستشفى الذي كان يعالج فيه الزانقلي وأراد الانتحار، وعجزت الفرقة الطبية في إقناعه بالعدول عن فكرته فنصحهم أحدهم بالزانقلي فأحضروه . فنظر إلى المجنون وقال له: "**اهبط وإلا نفش بيك الحيط**" فصاح المجنون لا لا تفعل سأنزل وبالفعل حلت المشكلة.

5- ذات يوم مرّ "الزانقلي" بالأروقة الجزائرية بتقرت ورأى الناس يزدحمون لاقتناء المواد الغذائية فقال: "**سبحان الله الدولة بالبابر وحنا بالمغارف وسبقناها.**"

6-ذهب "الزانقلي" يوما إلى الحلاق فوجد عنده رجلا له رأس طويل فنظر إليه وعاد أدراجه، وبعد مدة عاد فوجد الرجل مازال جالسا في مكانه. فقال له: "**مازلت هنا والدحس في السانتفي**" وانصرف. يعني رأسك يشبه الحافلة.

7-يروى عنه أيضا أنه كان في شوارع المدينة يركب عربة يجرها حمار، وكان صاحب العربة شيخا طاعنا في السن، وفي الطريق صفر لهم الشرطي وأمرهما بالتوقف، ثم أخبر الشيخ أنه ارتكب مخالفة يعاقب عليها القانون، وهي عدم وضع واقي أو حافظة لروث الحمار، فعجز الشيخ عن الدفاع، وتبرير فعلته للشرطي، فتدخل الزانقلي، وحسم الموقف قائلا للشيخ: "**طلع الكاروات (الزجاج) وسوق ماتراعيلوش**" فاندهش الشرطي لما سمع ذلك وانفجر بالضحك .أما الشيخ فنكز حماره ولم يلتفت.

8- دخل "الزانقلي" على جماعة كانت تتسامر في "حد حوانيت القرية فطلب منهم واحد من وسط (سيجارة) فقالوا: لا يوجد، فقال هاتو رفعة (طابة) فقالوا: لا يوجد، فقال :"**لا يوجد عندكم شيء، وعند بوغوفة الكبش على زوزج.**"

9- يحكى أن مجنونا التقى بمجنون آخر فربت الأول على كتف الثاني وقال له: "**قل لأهلك يجروا عليك قبل ما تطفر فيك .(قبل فوات الأوان).**"

10- مرّ رجل عرف عنه الكسل بجماعة من أهل القرية كان "الزانقلي" المجنون يتوسطهم، وكان الرجل يحمل طعامه بيده فأشار إليه الزانقلي وقال لهم: "**شوفو ما يجي يكمل خدمتو كان يلقى الطعام(الكسكس) صوف(تعفن)**" فانفجر الناس بالضحك.

***الموردة: باشي سالمة**

11- تحكي الراوية أن درويشا اسمه سيدي "عبد القادر بن اللتيّم" جاء لوالدتها في الصباح الباكر، وناداها باسمها، وعندما خرج له زوجها قال له أنه لا يريده هو وإنما يريد زوجته. وعندما خرجت إليه الزوجة قال لها: "**البارح ديوان سيدي محمد بن السايح وديوان**

سيدي الحاج علي بايتين متعاركين عنك. كل واحد يقول نروح انبشرها أنا، بلي راح يجيك زوج أولاد على رأس بعضهم، الأول اسمه "علي" مربوع القد، مليان باللحمة كي يتغشش(يغضب) يعود وجهه غبابير غبابير(يتلون) والثاني اسمه "أحمد" عينيه رقاق ويجي مْدرول على المشايخ(يحبهم بشدة) خليه في حاله. وكي يعود أحمد يمشي جبيلي برنوس"

وعندما أنجبت المرأة الولد الثاني ذهب زوجها للدرويش حتى يعطيه البرنوس الذي طلبه فقال له: "**امشي حتى يْعود أحمد يمشي مانيش طماع**"

ولما أصبح أحمد يمشي أخذ الزوج للدرويش برنوسا ومجموعة من الهدايا.

12- تقول الراوية إن درويشا اسمه "سيدي بودور" جاء إلى امرأة اسمها "روبا" وقال لها:" **روبا جاتك هدية كي البِتْية تتكركب من السمدية(الكثبان الرملي)**"

وبعد مدة تزوج ابنها امرأة سوداء من العبيد، مما شكل صدمة للمرأة.

13- تقول الراوية أن هناك مجنونا اسمه "محمد" لا يحب أن ينادى بعمي لذلك كان الصبية يسخرون منه ويعيرونه ويستفزونه بمناداته عمي، وبينما هو نائم ذات يوم بجانب جدار ناداه أحدهم عمي، عمي فرد عليه:"**يعطيك عمى في جامع**"

***المورد: محمد الصالح بن الحبيب**

14- خرجت ذات يوم عقرب من جحرها، فهمّ أحد الرجال بقتلها. فإذا "بالزانقلي" المجنون يحذره ويتوعده بالقتل لو قتلها .فسأله الرجل عن السبب فأجابه قائلا :"**هاد العقرب عندها الباك.**"

15- كان الزانقلي يوما يحمل كيسا ثقيلا ويلهث فلقيه أحد الرجال وأراد أن يجامله خوفا من أذاه فقال له: كبيرة اليوم يا الزانقلي. فرد عليه الزانقلي بهدوء وبرودة: "**صغيرة برك**".

***الموردة: عائشة الأبرق**

16- تقول الراوية إن درويشا من أولاد درّاج اسمه "سيدي عامر" لا يعرفونه من قبل جاء إلى بيتهم، وعندما رآه والدها طلب من أمها أن تغلق الباب فقال له الدرويش:"**علاش**

تغلق يا بَّا "علي" كانك على "عيشة" أني نشوف فيها، والرجال الكل تعزها، والنساء الكل تكرهها، وكانك على "سالمة" سالمة هنا ولهيه، وكانك أنت يا بَّا "علي" كي تنهر تهز القسم نتاع حُوشك ما عدتش تنهر فيهم. وكانك على "السعيد" راه سالم هنا ولهيه، وكانك على "أحمد عنده المعزة تولد، والمرأة تولد وتصلح والذرية تولد وتصلح وعنده في الدنيا أكثر من الآخرة.و كانك على "مسعود" لا يربي لا يعيش له أولاد، وعنده في الآخرة أكثر من الدنيا.و كانك على فطورك راك مْطيبه مردود، وكانك شاهي تعطي المعروف أعطني وكان ماكانش أنا راني رايح"

وتقول الراوية أن كل الأسماء التي ذكرها الدرويش كانت بالفعل أسماء أفراد عائلتها، وقد حدث معهم كل ما ذكره.

***المورد: غربي محمد خليفة**

17- يحكي الراوي عن جده: أنه في أحد الأيام جلس درويش إلى جانب خيمته، وقد كان متعبا وفي حالة مزرية بسبب طول بحثه عن جمله الضائع، فأكرمه الرجل وأحسن ضيافته. وعندما همّ الدرويش بالمغادرة قال للرجل: "**كان لقيت بعيري، العام الجاي ربي يعمّر عنك، وسميه محمد**" وقد كان الرجل متزوجا منذ سنوات ولم يرزق الأولاد.

و بعد مدة وجد الدرويش جمله، فعاد للرجل وقال له: "**أنا لقيت بعيري، وأنت وجْد للزردة العام الجاي.**" ويقول الراوي أنه بعد أشهر رزق جده ولدا بالفعل وسماه "محمد" ولم يرزق غيره.

***المورد: محمد الصالح نجاع (بابا)**

18- كان عمي الطاهر يمد حبلا أمام باب منزله واذا رأى أحد يقترب منه يقول بأعلى صوته:" **من تعدى حدود الله فقد ظلم نفسه مشيرا إلى الحبل.**"

19- يحكى عن "عمر طيطه" المجنون أنه ذات يوم كان راكبا حافلة نقل وإذا به يسأل سائقها أمك تعرف الطيب؟ فأجابه نعم تعرف الطيب(يقصد تطبخ)، ثم أكد سؤاله له: أمك تعرف الطيب؟؟ فقال السائق: نعم بكل تأكيد، فبادره قائلا: "**وهل الطيب يعرف أمك**"

***المورد: إسماعيل بوغنامة**

20- يحكى أن مجنونا كان يتجول في السوق ويردد :"**تحيا الجزائر وتعيش ديما حرة، ولي يخدمها بالصفاء تضره.**"

***المورد: زغب أحمد**

21- يحكى أن مجنونا كانا يتسكع في شوارع المدينة فمرّ بأحد الشوارع فوجد الناس مجتمعين حول موائد الطعام فجلس، وأكل ما لذا وطاب وبعدما شبع سألهم عن مناسبة الوليمة فأخبروه - موت فلان – فأجاب على الفور "**إن شاء الله كل يوم يموت لكم واحد**" فبهت السامعون، لكنه لم يعرهم اهتماما وانصرف.

***الموردة: بشوع خيرة**

22- تقول الراوية إن الدرويش سيدي "عبد القادر بن اللتيّم" جاء إلى والدتها، فطلبت منه أن ينظر إلى ابنها المريض لعله يستطيع أن يعالجه، فقال لها: "**بخري له بالكمون والجاوي، وحتى الأولياء والصالحين ماتوا.**" فمات الولد بعد يومين.

و بعد مرور مدة على موت الولد عاد الدرويش لزيارة المرأة، فطلبت منه أن يدعوا لها الله لعله يرزقها بولد خلفا لابنها المتوفي فقال لها: "**أنت عمارتك ميش هنا، أنت عمارتك مع الرجل الأكحل لي يحب النخل، أسنانه بيضاء ويعيش بالورقة والتمر.**" فتوفي زوج المرأة بعد أيام، وتزوجت رجلا أسمرا مصدر رزقه بيع التمر، وفلاحة الأرض.

***الموردة: باشي فاطمة**

23- تحكي الراوي عن نفسها أنه في أحد الأيام جاءها درويش من أولاد "سيدي عبيد" وقال لها: "الطفل لي حايرة منه، وتلظي فيه للقراية، راها خدمته يشد المفتاح بإذن الله والصُلاّح، وديري لي جبة زرقاء." فلم يتم ابنها دراسته وبالفعل عمل ابنها حارس أمن.

***المورد: لزهر بوبكري**

24- ضاع ابن لأحد المواطنين بالقرية، وكان يصيح مناديا باسمه فلم يجده فسمعه أحد المجانين وقال له: "**شعل روضة (عجلة) تلقاه.**"

***المورد: بوعلام بادو**

25- كان هناك رجل يقطن بإحدى القرى وكان لا يملك من الدنيا إلا زوجته وكان بينهما عشرة ومودة، وذات يوم أغضبته فعاقبها عقابا شديدا فسمعت به "تلوخة الدرويشة" فذهبت إليه وقالت له :" **لي يحشي يحشي الغرس، ولي يْلم يلم العرش، ولي يحوس على الأدب يروح للدرس**"

26- كانت هناك درويشة تتجول في شوارع القرية وتردد : "**شفت السراب يلوح دفقت مايا يا عمايا**"

***المورد: محمد الصغير خروبي**

27- من الأقوال التي تروى عن الدرويشة "عيشة العطرة":

"**ما زال تماسين تولي مدينة، والكيران تدور بينا وحاسدنا نْخلوه في المدينة (المقبرة)**"

***المورد: عبد الحميد ابراهيم قادري**

28- كان هناك درويشا يدعى "حمزة" ينعي الموتى، فيقصد أماكن الأفراح ويردد: "**فلان رحمه الله والدفينة بعد العصر والعاقبة لي مزال منكم**".

29- يحكى أن درويشا يتيما كان يعيش متنقلا بين قريتين فأمه من قرية وأبوه من القرية المجاورة. وعند زيارته لقرية أمه يعترضه الصبيان ويسألونه بغلظة، قرية أخوالك أحسن أم قرية أعمامك؟ فيجيب على الفور : "**قرية أعمامي مسلم لصلاحها ومواليها وقرية أخوالي راني رابح صلاحي فيها**". وعندما يعود إلى قرية أبيه يحدث له نفس الموقف مع سكانها فيجب بالمقلوب "**قرية أخوالي مسلم لصلاحها ومواليها وقرية أعمامي راني رابح صلاحي فيها**" فيضحكون ويدعونه يمر بسلام.

***المورد: عمر بالخير**

30- مرّ درويش بجماعة كانوا يبنون مسجدا، فوقف معهم برهة، فأعدوا له تمرا وحليبا فأكل حتى شبع وبعدها قال لهم: "**أنا خدام وباغي نْدير الخير لكن حجركم ثقيل ما نقدرلوش**" وانصرف

31- يحكى أن رجلا صادفه يوما درويش وطلب منه مبلغا زهيدا فأعطاه إيّاه وانصرف وفي طريقه عثر الرجل على كيس من النقود لم يعرف له صاحبا، فأخذه فخرج في اليوم التالي باكرا، وراح يترقب الدرويش في نفس المكان، وفعلا جاء الدرويش ومرّ بالرجل ولم يكترث له، فناداه بأعلى صوته فلم يلتفت له، فأسرع إليه ومسكه من يده وهمّ بإعطائه مبلغا من المال، فابتسم الدرويش وقال له: "**تحسبها ديما حاكمة**" **(ديما عيد)** وانصرف.

***الموردة: سمية بن خليفة**

32- سأل أحدهم مجنونا اسمه" العيد" لماذا لا تصلي؟ وألح بسؤاله فرد عليه:"**هاهو ربي قال ويل للمصلين**"

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر المسموعة

أ- الموردات:

1. باشي التجانية، 47 سنة، تقرأ وتكتب، حي 20 مسكن، دائرة الطيبات، تم اللقاء معها يوم 2019/02/23، على الساعة 11:45.
2. باشي سالمة، 69 سنة، أمية، حي سيدي المبروك، الطيبات، تم اللقاء معها يوم 2019/02/23، على الساعة 14:40
3. باشي عائشة 53 سنة، أنهت التعليم المتوسط، حي الظهراوية، بلدية الطيبات، تم اللقاء معها يوم 2019/01/20 على الساعة 21:30
4. باشي فاطمة، 80 سنة، أمية، حي بومرداس، دائرة الطيبات، تم اللقاء معها يوم 2019/02/20، على الساعة: 15:30.
5. باهي الزهرة، 89 سنة، أمية، تبسبست، الولاية المنتدبة تقرت، تم اللقاء معها يوم 2019/02/22، على الساعة: 17:06.
6. بشوع خيرة، 56 سنة، أمية، قرية المالحة بالدليلعي، دائرة الطيبات، تم اللقاء معها يوم2019/04/11 على الساعة12:24
7. بوغزالة محمد حدي، 76 سنة، أمية، حي البغازلية، الرباح، الوادي، تم اللقاء معها يوم 2019/02/15، على الساعة: 18:35.
8. سمية بن خليفة، 38 سنة، تحمل شهادة الماستر، حي النور، الوادي، تم اللقاء معها يوم 2019/02/18 على الساعة 10:40
9. قانة فاطنة بنت احمد 90سنة تم اللقاء معها بضريح سيدي محمد السايح ببلدة عمر.
10. لبرق عيشة، 80 سنة، أمية، حي الطيبات الوسط، دائرة الطيبات، تم اللقاء معها يوم 2018/11/22، على الساعة: 16:30.

ب- الموردون:

1. إسماعيل بوغنامة، 52 سنة، تقرت، تم اللقاء معه يوم 2019/04/12 على الساعة 16:30 مساء
2. بوعلام بادو، 58 سنة، تبسبست، تم اللقاء معه يوم 2019/04/27 على الساعة 10:30 صباحا.
3. زرزور الغيلاني، 48 سنة، عضو ناشط بحضرة رجال حشان تقرت، تم اللقاء معه يوم: 31/ 2019/03 على الساعة 16:00 مساء.
4. زغب أحمد، 59 سنة، تم اللقاء معه في جامعة حمه الأخضر الوادي، يوم 2019/01/14 على الساعة 11:15 صباحا
5. عبد الحميد ابراهيم قادري، 57 سنة، تقرت، تم اللقاء معه يوم 2019/03/30 على الساعة 9:30 صباحا.
6. عبد الحميد إبراهيم قادري، 57 سنة، سيدي خليل لمغير، تم اللقاء معه يوم 2019/03/30 على الساعة 9:30 صباحا
7. عمر بالخير، 83 سنة، الزاوية العابدية بتقرت، تم اللقاء معه يوم 2019/04/16 على الساعة 11:30 صباحا
8. عمر بن طرية، تقرت، تم اللقاء معه يوم 2019/02/14 على الساعة 16:30 مساء.
9. غربي محمد العيد، 84 سنة، أمي، حي النخيل، بلدية المنقر، دائرة الطيبات، تم اللقاء معه يوم 2019/04/16 على الساعة11:30.
10. لزهر بوبكري، 58 سنة، تماسين، تم اللقاء معه على ساعة 12:30صباحا.
11. محمد الأمين بن عثمان، 45 سنة، عضو ناشط في حضرة سيدي عمار بتبسبست، تقرت، تم اللقاء معه يوم 2019/03/19 على الساعة 18:00 مساء.
12. محمد البشير بن جعوان، 43 سنة ، مدرس قرآن في الزاوية التجانية بتماسين، تم اللقاء معه يوم 2019/03/26 على الساعة 18:30 مساء.

13. محمد الصالح بن الحبيب، 58سنة، الزاوية العابدية، تقرت، تم اللقاء معه يوم 2019/03/17 على الساعة 10:30 صباحا
14. محمد الصالح بن لعروسي، 60سنة، الزاوية العابدية، تقرت، تم اللقاء معه يوم 2018/11/13 على الساعة 16:00
15. محمد الصالح نجاح (بابا)، 59 سنة، الزاوية العابدية، تقرت، تم اللقاء معه يوم 2019/03/14 على الساعة 17:30مساء
16. محمد الصغير خروبي، 60سنة، تماسين، تم اللقاء معه يوم 2019/03/03 على الساعة 20:00 مساء.
17. محمد بابا عربي (كنوشة)، 60 سنة، رئيس الفرقة العمارية بلدية الزاوية العابدية، تقرت، تم اللقاء معه يوم 2019/03/01 على الساعة 18:20 مساء.
18. محمد بن خيرة، 53سنة، الطيبات، تم اللقاء معها يوم 2019/03/27، على الساعة 17:30مساء.

ثانيا: المعاجم

أ-المعاجم اللغوية:

1. الأنباري (أبو بكر-)، محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، الجزء الأول، مؤسسة الرسالة للنشر، ط1، 1412هـ/1992م .
2. أحمد (مختار عمر-)، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م.
3. البستاني(المعلم بطرس-)، قاموس المحيط، قاموس مطول للغة العربية، الجزء السادس، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م.
4. ابن فارس(أبو الحسين أحمد بن زكريا-)، مقاييس اللغة، الجزء الأول، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ط، 1399هـ / 1979م.

5. الفراهيدي(الخليل ابن أحمد-)، كتاب العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.
6. الفيروز آبادي(مجد الدين-)، القاموس المحيط، تح: مجد الدين الشامي وزكريا جابر أحمد، المجلد الأول، دار الحديث ، القاهرة ، 2008 .
7. معلوف (لويس)، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت (د.ط)، (د.ت).
8. ابن منظور (جمال الدين بن مكرم-)، لسان العرب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003.

ب- معاجم علم الاجتماع والأنتروبولوجيا، موسوعات وقواميس:

1. أمين(أحمد-)، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، (د.ط)، 2013م.
2. البعلبكي (منير-)، معجم المورد، دار العلم للملاين، لبنان، ط1، 1992م.
3. الحفني(عبد المنعم-)، موسوعة عالم علم النفس، المجلد الثاني، دار نوبليس، لبنان، ط1، 2005م.
4. الخطيب(مصطفى عبد الكريم-)، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1416هـ/1996م.
5. شاكر (مصطفى سليم-)، قاموس الأنثربولوجيا، جامعة الكويت، الكويت، ط1، 1981.
6. شميث (شارلوت سيمور-)، موسوعة علم الإنسان، تر: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري.
7. صدق (جان.م-)، معجم الأعداد – رموز ودلالات -، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1994.
8. صليبا (جميل-)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، (د.ط)، 1982.

9. ميويك(د.سي-)، موسوعة المصطلح النقدي، المفارقة وصفاتها الترميز والرعوية، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المجلد الرابع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993م.
10. هولكترانس(إيكه-)، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلوكور، تر: محمد الجوهري وحسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط2، د.ت.
11. يونس(عبد الحميد-)، معجم الفلكلور -مع مسرد إنجليزي-عربي، القاهرة، كانون الثاني (يناير)، 1982.

ثالثا: الكتب

أ- الكتب المقدسة:

1- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
2- الكتاب المقدس: العهد الجديد.

ب- الكتب المنشورة:

1. ابن الجوزي(الحافظ جمال الدين-)، أخبار الحمقى والمغفلين، شرحه: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، لبنان، ط1، 1410هـ/1990م.
2. ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد-)، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش،الجزء الأول، دار يعرب، دمشق، ط1، 1425هـ/2004م.
3. ابن كثير(عماد الدين أبو الفداء-)، قصص الأنبياء، تح : عماد التركي البارودي، المكتبة التوفيقية، مصر، ط2، 2013م.
4. الأثري (عبد الله بن عبد الحميد-)، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، الكتيبات الإسلامية، دار ابن خزيمة (د.ط)، (د.ت)
5. الألباني(محمد ناصر الدين-)، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)،المجلد الأول، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1408 هـ - 1988م.

6. إلياد(مرسيا–)، مظاهر الأسطورة، تح: نهاد خياطة، دار كنعان للدراسة والنشر، دمشق، (د.ط)،1994م.
7. بورتر(روي–)، موجز تاريخ الجنون، تر: ناصر مصطفى، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبوظبي، ط1، 2012م.
8. الترمذي(الإمام الحافظ أبو عيسى محمد–)، الجامع الكبير، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: الدكتور بشار عواد معروف، المجلد الرابع، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م.
9. الجاحظ (عمرو بن بحر–)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7، 1418هـ/1998م.
10. جعفر(محمد محمد–)، كتاب السحر، مكتبة الأنجلومصرية، مصر، (د.ط)، (د.ت).
11. حليم(بركات–)، المجتمع العربي بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1،1981م.
12. خصخوصي (أحمد–)، الحمق والجنون في التراث العربي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1413هـ/1993م.
13. ديفيز(أوين)، السحر (مقدمة قصيرة جدًا)، تر: رحاب صلاح الدين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط1، 2014م.
14. رشوان (حسين عبد الحميد أحمد–)، الدين والمجتمع،(د،ط) ،2010م.
15. زغب (أحمد–)، الأدب الشعبي (الدرس والتطبيق)، مطبعة سخري، الوادي، ط2، 2012.
16. زغب (أحمد–)، الفلكلور (المنهج، النظرية، التطبيق)، مطبعة دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2015م.
17. زغب (أحمد–)، ديوان أحمد بن عطا الله، دراسة– مديرية الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2012م.

18. زغب (أحمد–)، مبادئ الأنثروبولوجيا، مطبعة سخرية، الوادي، ط1، 2012
19. الزنيدي(عبد الرحمان بن زيد–)، المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية، دار كنوز إشبيليا، المملكة العربية السعودية، ط1، 1430هـ / 2009م.
20. زياني (محمد–)، فلسفة اللامعقول في الخطاب الصوفي، إصدارات إي كتب، لندن، ط1، نيسان، إبريل 2017م.
21. زيغور(علي–)، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم (القطاع اللاواعي في الذات العربية)، دار الأندلس، لبنان، ط2، 1984م.
22. الساعاتي(سامية–)،السحر والمجتمع، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1983.
23. السكندري (ابن عطاء)، لطائف المنن، دار المعارف، القاهرة. ط 3، 2006.
24. سكيرج (أحمد بن الحاج العياشي)، كشف الحجاب عن من تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب، دار الكتب العامية، لبنان، (د.ط)، (د.ت)
25. السواح (فراس–)، دين الإنسان، منشورات دار علاء الدين، سورية، ط4، 2002.
26. السيد أحمد(عبد الحكيم خليل)، دراسات في المعتقدات الشعبية، مكتبة الدراسات الشعبية، مصر، ط1،2013م.
27. الشنتناوي(أحمد–)، التنبؤ بالغيب قديما وحديثا، دار المعارف مصر، (د.ط)، 1959م.
28. شوقي(سعيد–)، بناء المفارقة في المسرحية الشعرية، إبتراك لطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001م.
29. العبد (محمد–)، المفارقة القرآنية (دراسة في بنية الدلالة)، دار الفكر العربي ، مصر، ط1، 1415هـ / 1994م.
30. عبد الجليل(حسين–)، المفارقة في شعر عدي بن زيد الموقف والأداه، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ،(د.ط)،(د.ت)
31. عبده (خالد محمد–)، معنى أن تكون صوفيا، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة، ط2، 2018.

32. العبيدي (وسام حسين جاسم-)، صورة المجنون في المتخيل العربي -منذ العصر الجاهلي حتى القرن الخامس الهجري-، دار الروافد الثقافية، لبنان، ط 1، 2016م.
33. علي خليل(لؤي-)، العجائبي والسرد العربي (النظرية بين التلقي والنص)، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1،2014م.
34. فريزر (جيمس-)، الغصن الذهبي – دراسة في السحر والدين-، تر: أحمد أبو زيد، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1981.
35. فريزر (جيمس-)، الفلكلور في العهد القديم، تر: نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)،1972م.
36. فوكو(ميشيل-)، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 ، 2006م.
37. فيليب سيرنج، الرموز في الفن – الأديان – الحياة، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق للنشر، سورية، ط1، 1992م.
38. قادري(عبد الحميد إبراهيم)، واد ريغ تاريخ وأمجاد جزائرية، دار الأوطان، الجزائر، ط2، 2014م.
39. الكوني (إبراهيم-)، نزيف الحجر، دار التنوير للنشر والطباعة، لبنان، ط3، 1992م.
40. ليفشيز(رايموند-)، تكايا الدراويش (الصوفية والفنون والعمارة في تركيا العثمانية)، تر: عبلة عودة، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ط1، 1432هـ/2011م.
41. الماجدي (خرعل-)، بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين)، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 1997.
42. الماجدي(خزعل-)، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 1997م.

43. الماجدي(خزعل–)، علم الأديان، مؤسسة مؤمن بلا حدود للدراسات والأبحاث، المملكة المغربية، الرباط، ط1، 2016.

44. مجموعة من المؤلفين، السحر من منظور إثنولوجي، تر: محمد أسليم، أفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 2009م.

45. محمود(زكي نجيب–)، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، دار الشروق، د.ط، د.ت.

46. المرزوقي(محمد–)، مع البدو في حلّهم وترحالهم، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1984م.

47. منديب (عبد الغني–)، الدين والمجتمع (دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب)، أفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 2006م.

48. ميل (جون ستيوارت–)، استعباد النساء، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، ط1،1997م.

49. النيسابوري(أبو القاسم الحسن بن محمد–)، عقلاء المجانين، تح: الدكتور عمر الأسعد، دار النفائس، بيروت، ط1، 1408هـ/1987م.

50. واعراب (مصطفى–) ، المعتقدات الطقوس السحرية في المغرب، كتاب الشهر، صادر عن جريدة الأحداث، الدار البيضاء، 2003.

رابعا: الرسائل والأطروحات

1. بو حفص(سهام–)، جمالية الحكي العجائبي في رواية «الدراويش يعودون للمنفى» (مذكرة ماجستير)، جامعة المسيلة، إشراف عبد الغني بن الشيخ 2017– 2018.

2. بن صالح(نوال–)، خطاب المفارقة في الأمثال العربية (مجمع الأمثال للميداني أنموذجا) أطروحة دكتوراه، جامعة بسكرة، إشراف مفقودة صالح، 2011–2012.

خامسا: المجلات

1. إبراهيم(نبيلة–)، المفارقة، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، مصر، العدد3–4، 1987.
2. رشيد(أمينة–)، المفارقة الروائية والزمن التاريخي ،مجلة ،فصول،الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 11، العدد4، 1983.
3. عبد الحافظ(إبراهيم–)، الإبداع وآليات التجديد في الشعر الصوفي الشعبي، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 23، خريف 2013.
4. العبدلي (سعيد حسين–)، ميكروسوسيولوجيا الجريمة من خلال الممارسة السحرية والشعوذة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد 05، فيفري 2014.
5. فخر الدين(محمد–)، الوليمة والفرجة في الثقافة الشعبية، مجلة الموروث الشعبي الالكترونية، مملكة البحرين، العدد السابع، 25 ديسمبر 2015.
6. القلسي(عبد الرزاق–)، الطب الشعبي في تونس وعلاقته بجسد المرأة، مجلة الثقافية الشعبية، العدد 34، صيف 2016.

سادسا: المواقع الإلكترونية

1. أمين(سيد–)، عن المعقول واللامعقول، www. Wata.cc، لوحظ في 2019/01/21م.
2. زغب(أحمد–) ،عجائبية الدين من عصا موسى الى عرجون سيدي الحاج علي: دلالتها من منظور الانتربولوجيا،hhps/dicie.net، لوحظ في 2019/04/9م.
3. موقع الإسلام سؤال وجوابamqq/ info Hhtpsll is، لوحظ في 2019/04/09
4. نجم(مفيد–)، الجنون حقيقة طبيعية أم ظاهرة ثقافية، https://alarab.co.uk، لوحظ في 2019/03/20م.

سابعا: المراجع الأجنبية

1-Edmand Doutte notes Sur llislam maghrebin, les maeabouts exstrait de la revue de l'ihistoir des religions ernest le roux editeue 28, Rue bong

2- Le Plus Petit Larousse Illustre, Paris 1986

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العناوين	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدِّمة	أ–ب
المدخل: تحديد المصطلحات	
أولا: الثقافة الشعبية	7
1- مفهوم الثقافة	7
2- مفهوم الشعبية	8
ثانيا: المفارقة	11
1- مفهوم المفارقة	11
2- أنواع المفارقة	13
3- وظيفة المفارقة	14
ثالثا: اللامعقول	15
1- مفهوم المعقول	15
2- مفهوم اللامعقول	17
3- تجليات اللامعقول	17
الفصل الاول: المفارقة واللامعقول في السحر	
أولا: مفهوم السحر ومكوناته	21
1- مفهوم السحر	21
2- مكونات السحر	23
ثانيا: أنواع السحر وعلاقته بالدين	24
1- أنواع السحر	24
2- علاقة السحر بالدين	26

ثالثا: المفارقة واللامعقول في الطقوس السحرية	27
1- الطقوس السحرية	27
2- تحديد المفارقة واللامعقول في الطقوس السحرية	40
الفصل الثاني: المفارقة واللامعقول في الطقوس الدينية	
أولا: مفهـوم الدين ومكوناته	51
1- مفهوم الدين	51
2- مكونات الدين	55
ثانيا: أنواع الطقوس الدينية	57
ثالثا: المفارقة واللامعقول في الطقوس الدينية	59
1- الحضرة الصوفية	59
2- المفارقة واللامعقول في المعجزات والكرامات	62
الفصل الثالث: المفارقة واللامعقول في كلام المجانين والدراويش	
أولا: الجنون	74
1- مفهوم الجنون	74
2- المجنون في التراث العربي	77
ثانيا: الدروشة	81
1- مفهوم الدروشة	81
2- مفهوم الدرويش في الثقافة المشرقية والمغربية	83
ثالث: المفارقة واللامعقول في كلام المجانين والدراويش	84
1- المفارقة	85
2- اللامعقول	97
الخاتمة	103-101
المدونة	111-105

قائمة المصادر والمراجع	122-113
فهرس المحتويات	
ملخص الدراسة	

الملخـــص

الملخص

الثقافة الشعبية هي الثقافة التي تنسب إلى عموم الشعب، مقابل الثقافة الرسمية أو النخبوية. وتضم عناصر معقولة وأخرى لا معقولة تبلورها طقوس، وأعراف وفنون القول، وتتجلى العناصر اللامعقولة في السحر وجوانب من الدين، والكشف الصوفي، وكلام المجانين والدراويش وغيرها. كما لا تخلو ممارسات الأفراد وسلوكاتهم من مفارقات اجتماعية تعكس جوانب خفية في حياة المجتمع.

لهذا كان هدف موضوع بحثنا معرفة مدى كشف المفارقة واللامعقول في الثقافة الشعبية عن هذه الجوانب ؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية تطرقنا في المدخل التمهيدي لتحديد أهم مصطلحات البحث، واتضح أن المفارقة واللامعقول يتقطعان في عنصر التناقض.

ففي الفصل الأول تناولنا مفهوم السحر ومكوناته الأساسية، وذكرنا أنواعه وحددنا علاقته بالدين، ثم وقفنا على المفارقة، واللامعقول في بعض الطقوس السحرية.

أما الفصل الثاني فتعرضنا لمفهوم الدين ومكوناته، ثم بينا أنواع الطقوس الدينية وبعد ذلك استخرجنا المفارقة واللامعقول من بعضها.

والفصل الثالث ذكرنا مفهوم الجنون، والدروشة، ثم وقفنا على أوجه التشابه والاختلاف لمفهوم الدرويش في الثقافة المشرقية، والمغربية. وأنهيناه بإظهار المفارقة واللامعقول في بعض أقوال المجانين والدراويش.

إن دراسة المفارقة واللامعقول وتحديدا في السحر، والطقوس الدينية الشعبية، وكلام المجانين والدراويش، يكشف عن جوانب وجدانية وثقافية، واجتماعية خفية في حياة المجتمع.

Résumé

La culture populaire est attribuée au public large. Elle contient des éléments logiques (les coutumes, les traditions et l'art de dire) et d'autres éléments illogiques (la magie, les aspects de la religion, le mysticisme, les dires des folies et des derviches) qui reflètent aussi les comportements de personnes et des aspects sociaux.

Pour cette raison, notre recherche vise à connaitre si l'étude de paradoxe et de l'illogique dans la magie et la religion et les dires des derviches et des folies dans la culture populaire nous mène à révéler les aspects inconnus dans la vie de la société؟

Afin de répondre à cette problématique, nous avons débuté notre étude par la définition des notions de base de l'intitulé de la recherche où nous avons constaté que la contradiction est l'élément commun entre le paradoxe et l'illogique.

Dans le premier chapitre, nous avons présenté en premier lieu le concept de la magie, ses composants essentiels, ses types ainsi que sa relation avec la religion, et nous avons précisé également les conceptions de paradoxe et d'illogique dans les rites magiques.

Dans le deuxième chapitre, nous avons arboré la définition de la religion et ses composants et nous avons déterminé aussi les représentations religieuses.

Dans le troisième chapitre, nous avons définit la folie et le derviche, puis nous avons démontré les divergences et les convergences du derviche dans la culture magribine et orientale en les illustrant par les dires des folies et des derviches.

Pour conclure, nous devons signaler que l'étude le l'ironie et de l'absurdité, en particulier l'étude de la magie, des rituels religieux populaires et des paroles de folies et de derviches, révèle des aspects émotionnels, culturels et sociaux dissimulés dans la vie de la société.